

شهر عسل مر ~*~*

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا مكتبة رواية

www.rivaya.ga

– فيوليت وينسبير –

(روايات عبير)

الكبرياء قناع بامكانه ان يحجب الحب

ويجوله الى كراهيه وصد....

ولعل اختلاف الطبائع والاطباع بين
البشر يدفع احيانا بعضهم الى التمسك
بكبريائه حتى اخر لحظه.

دومني الانجليزيه التي تزوجت اليوناني
بول لم تقبل يوما واقعها.

وبرغم الحياة الفريده التي اعطيت لها
على طبق من ذهب بقيت وشائج قلبها

متعلقه بشاطئ بلدها...وبذلك الرسام
الشاب الذي خطف لبها بحديثه
وطموحه وركض معها على الرمال
الرطبه...وتلتقيه في الجزيره اليونانيه بعد
سنوات....

فهل تهرب معه كما يريد لها ان تفعل؟ ام
تبقى وفيه لذلك النمر اليوناني بول
ستيفانوس؟

1- الجمر من جليد

.....

كان ثوب زفافها من الحرير اليوناني
الجميل , وكان شعرها متوجا بأكليل
فضي رقيق , تتدلى منه طرحة دانتيل
مطرزة بقلوب صغيرة , وعندما ظهرت
دومني متأبطة ذراع عريسها , لم يخطر
لأحد أنها تزوجته خوفا وليس حبا.

ورحل العروسان بعد ساعة متجهين الى
الساحل , وأستقلا سيارة أجرة الى
الفيلا الواقعة على الشاطئ الصغير
, التي أستأجرها بول ستيفانوس لقضاء
أسبوع , قبل أن يطير الى أثينا .
كان يتمنى دائما أن يشاهد الساحل
الغربي , وأخبر عروسه دومني بذلك وها
هي الفرصة قد حانت .

وكان خادم بول اليوناني , وزوجته لنا ,
قد سبقا العروسين الى الفيلا , وأعدا
كل شيء لأستقبالهما , كان يوما ساحرا
دافئا من أيام الربيع لكن عند غروب
الشمس هبت نسمة من البحر ,
وأشعل الخادم يانيس نار المدفأة في غرفة
الجلوس .

وشعرت دومني بالدفء , لأول مرة في
ذلك اليوم عند دخولها غرفة الجلوس ,

وخلع بول معطفه , وتقدم نحو الطاولة ,
حيث كانت زجاجتان ذهبيتا الغطاء , في
أنتظارهما ليشربا نخب العرس .
وقال بول بصوته العميق ذي
اللكنة الأجنبية وبلهجة يشع فيها المرح
والرضا .

" رائع , لقد تذكر يانيس طلبي " .
وتكومت دومني بجانب المدفأة تدفئ
يديها , وتهدلت خصلات شعرها

العسلي فوق وجهها , فأخفت نظرة
الفرع التي قفزت الى عينيها عندما رأت
بول يعد المشروب الذي أحست أنه
سيكون بمثابة السم.

وقال بول وهو يعاونها على النهوض :
" دعيني أساعدك على خلع معطفك".

وكانت أصابعه ماهرة في فك أزرار
معطفها ونزعه من فوق كتفيها , ودفعت

هي يديها خلال شعرها , بينما كان
يتأملها بعينين لاهيتين , ثم قال :
" غالبية النساء يشغلهن عادة تمشيط
الشعر وإعادة الزينة بعد هذه الرحلة
الطويلة في القطار , بدأت أظن أنك أما
أن تكوني غير مغرورة بنفسك على
الأطلاق , وأما أنك الغرور بعينيه في
تظاهرك بعدم المبالاة بحقيقة جمالك".

ولم تعر كلامه أذنا صاغية , وواجهته في
تماسك سرعان ما أخذ يتلاشى ,
وشعرت بالبرودة تسري في أعماقها ,
بينما كان عقلها , يجري في كل اتجاه
هربا من فكرة كونها بالفعل هنا... في
كورنوال ومتزوجة من هذا الرجل!
ولم تستطع أن تلوذ بالكتمان طويلا ,
فخرجت الكلمات منها عنوة , قالت:

" بول , هل ستمضي حقا في هذا... "

هذا الزواج الذي أرغمتني عليه؟".

وبفتور وبطء أخرج علبة سكاثر وقدمها

اليها , ورفضت بهز من رأسها , وأشعل

هو سيكارة قائلا:

" أعطيتك الخيار يا عزيزتي".

ونفث دخان سيكارتته وأستطرد قائلا:

" أنا لم أرغمك على الزواج بفوهة

بندقية".

الخيار؟ أرتجفت دومي من الكلمة , هل
يعتقد ذلك حقا؟ وأمتلأت عيناها
الزرقاوان بالخوف والحيرة وهي تتطلع الى
وجهه , وأستقرتا أخيرا على الندبة
الغائرة فوق عينه اليمنى , الندبة التي
كانت الشيء الوحيد الذي يضيف عليه
صفة الأنسانية.

وقالت:

" أنا , أنا لا أصدق أنك مصنوع من
الحجر لكنك تتصرف كما لو كنت
كذلك , كما لو كان لا يعينك على
الأطلاق أنك أعتديت على حياتي ,
وأنتزعتني من كل ما أحب , فقط لأكون
لعبتك , هل تعتقد أنني أستطيع أن
أغفر لك ذلك؟ أو أن أحبك فعلا؟".

وتشاغل بول بتقليب فحم المدفأة بفرع
شجرة , وأرتسمت أبتسامة غامضة في
عينيه وهو يقول:

" أنا مدرك تماما حقيقة نظرتك الي ,
لكنها تفاهة عاطفية أن أكون محبوبا ,
وليس عندي وقت لأبدده في التفاهات
, لدي نواحي ضعف قليلة يا دومني ,
واحدة منها هي حب الأشياء النادرة ,
وأنت مخلوقة نادرة جدا , أنت جميلة ,

ولكن غامضة , يمكنك أن تخفي أي

شيء باردا كان أم مشتعلا".

وسحب نفسا عميقا من سيكارتته ,

وقال ببطء:

" أردتك , منذ أول لحظة تقابلنا فيها في

فردان".

وأستطاع أن يأسر نظراتها , وأن يرغمها

على الأنصت اليه , وأستطرد قائلا:

" في ذلك اليوم الذي أكتشفت فيه
تزوير ابن عمك , ذهبت الى فردان في
حالة غضب شديد , وكنت مصمما
على أخبار عمك بما فعله ابنه الشقي ,
كنت هناك , كنت لا تزالين في المدرسة
الداخلية آخر مرة كنت فيها في أنكلترا
قبل ذلك , ولكن في ذلك اليوم بالذات
كنت قادمة لتوك من نزهة , كان فمك
ورديا , وعيناك شديدي الزرقة , ومنذ

تلك اللحظة أصبح تورط ابن عمك
سلاحا في يدي".

وتأملها... ثم أستأنف قائلا:

"أنك تجفلين يا دومي , ولكنني كنت

آمل ألا أستعمل هذا السلاح, كنت

آمل أنك قد... في أي حال أصبح

واضحا أخيرا أنك تنظرين الي فقط على

أنني اليوناني الجاف الذي يعمل عنده

ابن عمك كمساعد مدير في أحد

مكاتب خطوط ستيفانوس للملاحة
البحرية".

وعاد الى السكوت , وبينما أهتزت
أعصاب دومي , وأرتفع صوته من
جديد يقول:

" أردتك... وبأي ثمن".

وأرتعدت , كارهة صراحتة القاسية ,
لكنها مدركة أيضا أنه لو تحدث عن حبه
لها , لكانت أحتقرته , وطاف بنظراته

حوله كما فعلت أول يوم قابلته في
فردان , عندما حذرتها غريزتها أنه خطر
يهددها بوجهه الوثني , وبعينيه الذهبيتين
اللتين تشبهان عيني النمر , وبشعره
الداكن القصير المجعد , الشبيه بصوف
الغنم.

وتباعدت عنه إذ كان يشع قوة وخطورة
, وقالت بصوت مضطرب كانت تحاول
أن تحتفظ بسيطرتهما عليه:

" لا أعتقد أنني يمكن أن أستمر في هذا
الزواج يا بول... أرغمتني على موقف
قاس , غير متحضر , وأنت لا تحمل لي
ذرة من المشاعر".

قال:

" كبرياؤك هو الذي أرغمتك على
أختياري , مفضلة ذلك على رؤية أسم
أسرتك في محاكم الجنايات".
وسكت برهة , ثم قال:

" ولماذا أرثي لك , وأنا الذي يجب أن
يعجب بك لأنك واحدة من اللواتي
يؤثرن العذاب على رؤية من يحب في
الوحل؟".

وألقى بقايا سيكارتة في النار , وتقدم
منها , ومن جديد تباعدت عنه , لكنه
أمسك بها وهمس:

" تعالي.... أنا لست وحشا".

وذعرت عندما لمحت بريق عينيه الذهبي
من خلال أهدابه السوداء الكثيفة ,
وعاد يهمس:

" أستطيع أن أكون لطيفا خاصة مع
شيء جميل مثلك؟ أنت جميلة للغاية ,
وكلك كبرياء , أنك جليد مشتعل".
وسأل ساخرا:

" يا ملاكي الصغير هل توقفت عن

الأبتسام الى الأبد؟ هل ستنظرين دائما

بهاتين العينين العابستين؟".

فقلت:

" وماذا توقعت؟ عينين مليئتين

بالحنان؟".

وبدا عليها أنها على وشك البكاء وقال:

" لا أسألك أن تحبيني يا دومي , ولكن

لا تكرهيني".

" أنا أحتقرك "

خرجت الكلمات عنيفة من فمها
وأحست بالنفور من قربه , من لمسة
يديه , بل ومن النفور لأدراكها أن وجهه
كان أجمل وجه رأتها , رغم الندبة التي
تعلو عينه اليمنى , نعم , كان وسيما ,
وقاسيا .

وأنطلق يمسح جبينها , أذ دخل في تلك
اللحظة يانيس بصينية الشاي , والتي

وضعها فوق المنضدة , وجلست دومي
تسكب الشاي , ولا شيء في وجهها له
لون سوى عينيها وفمها.

وكان بول أستأجر الفيلا مفروشة , وفي
نظرة الى المكان تبينت أنه لا شك دفع
أيجارا مرتفعا , نقوده كانت تخيفها ,
حولته الى رجل لا يعرف , أو لا يهتم ,
بأن هناك أشياء لا يستطيع أن يشتريها

أبدا , مثل الحب والشرف اللذين يجبرها
الزواج على منحهما أياه!
وقال بول لخادمه:

" أنا مسرور لتذكرك مشروبي يا يانيس ,
سنشربه طبعاً مع عشاء عرسنا".

ورفعت دومي بصورها , ورأت وجه
الرجل اليوناني يفتر عن أبتسامه خفيفة ,
كان قليل الكلام , شديد الولاء لسيدته,
وبعدما أكد لسيدته الجديدة الشابة أن

عشاء العرس سيكون جاهزا بعد ساعة

, أنسحب بهدوء من الغرفة.

وناولت دومني فنجانه , وأرتشف رشفة

, ثم قال ضاحكا:

" أني أتساءل إذا كنت سأعتاد الشاي

الأنكليزي".

سألت ببرود:

" ولماذا لم تطلب قهوة؟".

وجلس على ذراع المقعد قائلا:

" أعرف أنك تفضلين الشاي يا

عزيزتي".

وقاومت نفسها حتى لا تتحرك بعيدا

عنه , وأعاد الشاي الساخن بعض

الحياة الى جسمها البارد , لكنها لم تشعر

بالأمتنان لبول أذ أوحى لنفسها بأن

عليها أن تكره الأشياء التي يمنحها أياها

, مثل الثوب الأبيض وطرحه الزفاف ,

التي أرسلت اليها في أنكلترا بأمره من
وطنه جزيرة أنديلوس.

وبدون أن تنظر اليه سألته:

" هل أحرقت الشيكات المزورة كما

وعدت؟".

" ليس بعد".

وعندما نظرت اليه بسرعة, أبتسم قائلاً:

" ربما أستقرت في رأسك الجميل فكرة
الهرب مني , لذلك فالشيكات المزورة
ستبقى , حتى الغد".

وأحتقن وجهها ألماً , عندما فهمت ما
يقصد , وقالت :

" هل... هل تعد بأحراقها غدا؟".
قال مطمئناً :

" سأحرقها في وجودك".

بعد دقائق صعدا الى الطابق العلوي
ليرتديا ملابس العشاء , وكان جناحهما
الأبيض مزينا بالورود المختلفة , وكان
ملحقا بكل غرفة نوم حمام خاص ,
وتأخرت دومي في أخذ حمامها , حتى
سمعت الباب المشترك يغلق , وتأكدت
أن بول أستحم , وأرتدى ثيابه , ونزل ,
وحيئذ لفت نفسها في منشفة كبيرة

بيضاء , وخرجت من الحمام الى غرفة
نومها ,

وعندما أقتربت من مائدة الزينة , وقع

بصرها على علبة مجوهرات لم تكن

موجودة عندما دخلت الحمام ,

وحدقت فيها كما لو كانت شيئا يمكن

أن ينقض عليها ويفتك بها , لا بد أن

بول هو الذي أحضرها , وفكرت أن

تنقلها الى غرفته بدون أن تفتحها ,

لكنها متأكدة أنه سيرغمها على أن
ترتدي ما في العلبة.

وفتحت العلبة , ووجدت داخل بطانتها
الحريرية مشبكا من اللؤلؤ على شكل
قلب تحيط به قلوب ياقوت كدموع من
دم متفجرة ومعه قرط مشابه له.

وحدقت دومي في المجوهرات التي
سحرتها بجمالها , ثم شعرت كأنها تسخر
منها , نزعت المشبك , ورمته وهزتها

دموع الغضب , وأستلقت فوق سريرها
تبكي بدموع ساخنة , كما لم يحدث من
قبل في حياتها.

كانت سيدة نفسها , أبنه الأخر المحبوبة
لمارتن دان الذي عاملها دائما كأبنه منذ
جاءت إليه طفلة , بعدما غرق والداها
.

ثم... وسط فيضان دموعها

جلست , ورفعت خصلات شعرها عن

وجنتيها المبللتين وحدثت بقلب واجف
في الباب المشترك , قال بول أنه
سيتخلص من هذه الشيكات في الغد ,
أذن فهي موجودة في الفيلا , في غرفته
, وقفزت من سريرها , ونسيت دموعها
وهي تقترب من الباب , أذ عثرت على
الشيكات فستعدها بنفسها , وستحرر
من بول ستيفانوس!

وأزداد خفقان قلبها للفكرة , ثم أن
الفيلا قريبة من مدينة لوو وتستطيع
بكل تأكيد أن تجد غرفة تقضي فيها
ليلتها.

وأدارت مقبض حجرة بول وأضاءت
النور , كانت هناك زجاجات عطر
رجالي على مائدة الزينة , كما كانت
بيجامته السوداء الحريرية ملقاة فوق
السرير , ورائحة دخان سيكاره ما زالت

تعقب جو الحجرة , وتملكها الرعب لكنها
سرعان ما تغلبت على اضطرابها ,
وأقتربت من الدولاب المحتمل أن يحتوي
حقيبه.

ودق قلبها بعنف , فلم تجرؤ على الحلم
بوجود طريقة للهرب من بول وأسترداد
حريتها التي كانت تعثر بها كثيرا ,
صحيح أنها منذ أربع سنوات ,

عندما كانت في السابعة عشرة من
عمرها , كانت على وشك الوقوع في
الحب مع فنان شاب , كان يعمل
بالقرب من مدرستها الداخلية , ولكنها
كانت قصة حب بريئة ومرحة , وخرج
باري من حياتها كما دخلها , ولم تسمع
عنه منذ ذلك الحين.

وفتحت دولاب بول , وقفزت بعصبية
عندما أطلت عليها صورتها المنعكسة

على المرأة الداخلية , أخافتها نظرات
عينها المشتعلة , فألصقت باب
الدولاب بالحائط حتى لا ترى نفسها ,
ولمست كم سترة من التويد وجنتها وهي
تنحني , فأزاحتها عنها كما لو كانت
ذراعاً تحاول الأمسك بها.

في الطابق السفلي وقف بول أمام
النوافذ متكئاً بكتفه على أطارها ومتجهاً
ببصره الى شاطئ البحر القريب من

سلام الفيلا , وفي الخارج أشدت
الرياح , وأخذت الأمواج ذات الزبد
الأبيض تتكسر على الصخور ,
ويضيئها نور القمر المتسلل من بين
السحب , وصار صوت البحر كرعد
يخترق الجدران , فوضع بول يده على
صدغه الأيمن , وكأنه يسمع صدره في
أذنه.

وجاء يانيس الى الحجرة قائلاً:

" معذرة يا سيدي , مكالمة خارجية
للسيدة".

وأستدار بول , وخرج من دائرة الظل
بجوار النافذة , وقال وقد ظهرت
الدهشة على وجهه :

"مكالمة لزوجتي ؟ حسنا , سأرد عليها
يا يانيس".

وفي الحال وصل الى أذنيه صوت مارتن
دان , عبر الأسلاك , وكان مختلفا
بالأنفعال:

" بول.... يجب أن أتحدث مع دومني
حالا.... من فضلك دعها تكلمني
فالأمر هام للغاية".

وتقلصت يد بول فوق سماعة الهاتف
وهو يسأل:

" ماذا حدث؟".

"أبن دوغلاس أخبرني عن النقود التي
أخذها منك , تلك الشيكات التي
زورها بأسمك".

وساد صمت , كما لو كان مارتن دان
لا يكاد يصدق أن ابنه فعل ذلك
وأستطرد قائلاً:

" بول.... أبنني شعر بأنه يجب أن
يخبرني.... من أجل دومي.... أنه
يعتقد أنها تزوجتك , باعت نفسها في

الواقع , لتتقد كبرياءنا التعس , أنا أعرف
دومني , وما الذي يمكن أن تفعله من
أجل من تحب... وأعرف أيضا أن ابنة
أخي لا تستطيع أبدا أن تحبك يا
ستيفانوس , أنك لست من يوافقها
لأنك من عالم آخر , أما زلت تنصت
الي ؟ أذن فأنا أُلح في التحدث الآن مع
دومني".

ووقف بول صامتا , وقد تجهم وجهه
وبرقت عيناه الذهبيتان , ثم قال:
" أعرف أنني من بلاد أخرى يا سيد
دان , وأنا أتكلم الأنكليزية بلكنة
غريبة , ولكن شيئا من ذلك لا يغير أن
السيدة ابنة أخيك هي الآن زوجتي".
صاح مارتن دان بثقة:
" الزواج يمكن أبطاله".
سأل بول بلهجة مهذبة:

"على أي أساس؟".

"عدم المعاشرة , هذا هو القانون".

"ربما يكون ذلك هو القانون , ولكن

الحقيقة أيضا يا سيد دان , أنني ودومني

أنفردنا هنا لعدة ساعات , أنها جذابة

جدا يا سيدي , وأنا لست أنكليزيا

رقيقا".

وأشدد الصمت على الصمت على

الطرف الآخر , وأرتسمت أبتسامة

خافته على وجه بول وكان مارتن دان

رجلا أنكليزيا مهذبا للغاية ملتزما في

حياته بمجموعة من المبادئ , وبصوته

الأنكليزي الجاف الممزق قال:

" ستيفانوس دع دومني تمضي , أنك لا

تحبها , أنك تريد امرأة تكون رمزا

لنجاحك في تلك الغابة من العالم , المال

والتألق , لا شيء من ذلك يهم دومني".

" ولكن أن يكون في أستطاعتها أن ترفع

رأسها , وأن تواجه الناس , أمر هام

بالنسبة اليها يا سيد دان , وهل يستطيع

واحد منكم أن يفعل ذلك , إذا وضعت

دوغلاس في السجن؟ "

" وهل يمكنك أن ترفع رأسك , وأنت

تعلم طوال الوقت أنك أرغمت دومني

على أن تصبح زوجتك ؟ لا بد أنها

تكرهك ."

" أنا رجل غريب , أفضل أن أتزوج
أمرأة تكرهني بشرف , على أخرى تحبني
بدون شرف".

وبعد أن نطق بول بهذه الكلمات ,
وضع السماعة ليقطع الأتصال , ثم
رفعها مرة ثانية وأسندها الى المنضدة ,
وعبر الصالة الصغيرة متجها الى صالة
الطعام حيث كان يانيس يضع اللمسات
الأخيرة للمائدة , وأخبره أنه رفع

السماعة , وأنه يريد لها أن تظل في
مكانها , ولم يناقش يانيس الأمر , أذ
كان بول السيد في بيته , حسب
التقاليد اليونانية.

وقال بول وهو يداعب بأصابعه الورود
الحمراء في الزهرية بين مكانه ومكان
دومني , والشموع الكهرمانية المعدة
للأضياء.

" المائدة تبدو رائعة".

" سيكون العشاء جاهزا بعد عشر

دقائق يا سيدي ."

" أذن من الأفضل أن أذهب لأخبر

زوجتي , يا للوقت الذي تستغرقه

النساء في ارتداء ملابسهن !".

وأبتسم يا نيس , وراقب بول بعينه

الداكنتين وهو يخرج من الغرفة , ثم لمس

بدوره الورود , وزفر زفرة شديدة حركت

الشموع التي أضاءها .

وصعد بول السلام , وأتجه الى باب
غرفة دومني , ولم يتلق ردا على طريقه ,
فأدار المقبض ودخل , وأتجه بصره في
الحال الى الباب المشترك الذي كان
مفتوحا على مصراعيه , ودخل بدون أن
تسمع له وقع أقدام بفضل السجادة
السميكة , وفاجأ دومني متسائلا:
" ماذا تفعلين؟".

كان كل شيء مبعثرا , قمصانه ,
وملابسه الداخلية , وأوراقه والأدراج
مفتوحة , ومحتوياتها ملقاة في كل جانب

وسقطت الأوراق التي كانت دومي
ممسكة بها , أذ أستدارت لتتحاشي
مواجهة بول , ثم وقف كل منهما يحملق
في الآخر , وأخيرا تقدم منها , وأمسك
بكتفيها وقال :

" عم تبحثين؟ عن تلك الشيكات التي
زورها ابن عمك؟ يا جميلتي البلهاء ,
هل تظنين أنني من الحمافة أحتفظ بها
هنا , حيث يمكن أن تضعي يديك
عليها؟ أنها مودعة في أمان في أحد بنوك
لوو".

.....نهاية الفصل

الاول.....

2-اي حب

.....

بهذه الكلمات أطفأ بول بريق الأمل في
قلب دومني التي وقفت في مواجهته
بدون أن تحس الغضب في ضغط يديه
فوق كتفيها , كان يجب أن تدرك أنه ما
كان ليترك أمامها منفذا للهرب – لقد
دفع فيها ثمنا غاليا ولم ينل بعد المقابل.
ووقفت بدون حراك , بينما أخذ هو
ينقل بصره متأملا الدموع التي أنسابت

على وجنتيها الشاحبتين , وشعرها
العسلي الغزير الذي تجعدت أطرافه
بتأثير الحمام , وتهدلت خصلاته فوق
كتفيها العاريتين , فبدا في أنسجام أسر
مع البشرة البيضاء الصافية.
ولاحظت دومي رجفة على ركن فم بول
, ثم أسدلت جفنيها وهو يرفعها بقوة ,
ويحملها الى غرفتها ولم يتركها في الحال ,
بل وقف يتأملها ثم همس :

" أن نظرة البساطة يمكن أن تخفي
مناهاة معقدة".

وعاد يتفحصها , ثم قال:

"لا بد أنك تكرهيني للغاية يا صغيرتي
حتى تثيري غضبي بعثرة حاجياتي في
أرجاء الحجرة , أنك تستحقين صفة
على ذلك".

" سأعيد ترتيب كل شيء".

" بل سترتدين الآن ثيابك".

وسمعه يطلق ضحكة هادئة وهو يتركها

تقف على قدميها ويقول:

"دومني... لا تحاولي الهرب مني أبدا

سوف أمسك بك دائما , وسأحتفظ

بك طالما أن ذلك يسرني".

واحست بالتهديد يسري من أطراف

أصابعه الممسكة بها الى أعماق أعماقها ,

ثم أنصرف الى حجرتة وأغلق حلفه

الباب بهدوء.

ذهب ليعيد ترتيب أوراقه وحاجياته التي
ألقته على الأرض لكن بعد ما نجح في
أن يشعرها بالخجل من تصرفها ,
فأضاف بذلك وقودا الى النار التي
كانت تحس بها وهي تبدأ في ارتداء
ملابسها.

وأختارت الثوب الأزرق المغطى
بالأورغانزا البيضاء , وكان هدية من
صديقة تدير محل أزياء في الوست أند في

لندن , كان طرازاً رائعاً , وكانت دومني
تعرف أن الخوف من بول هو الذي
دفعها الى اختياره لعشاء العرس معه ,
أن بعثتها غرفته أغضبه بشدة , وشعرت
أنها بظهورها في هذا الثوب الذي يمتزج
فيه الأزرق مع الأبيض , تستطيع أن
تحمي نفسها من هذا الغضب الذي
يجعل منه عاشقاً مرعباً!

وكان القرط المحلى باللؤلؤ والياقوت ما
زال في العلبة على مائدة الزينة , لكنها
عندما عثرت على المشبك بجانب ركن
السريير , أكتشفت أنها لا تستطيع
أرتدائه هذه الليلة بالذات , وأرتدت
بدلا منه العقد اللؤلؤي الذي ظهرت به
مع ثوب الزفاف والذي كان ملكا لأمها
, وشعرت بشيء من الراحة , والشجاعة
أيضا

وأختارت عطرا فرنسيا , ثم تأملت
نفسها في المرأة طويلا , رأت عينين
حزينتين لأمرأة تزوجت , لتنقذ كبرياء
أسرتها, لن تحظى في هذا الزواج بالتقارب
والتفاهم , لن تستمتع بهجة أو بمودة.
وبأعصاب مرتجفة كجذور منزوعة من
أرضها غادرت غرفتها في طريقها الى
عشاء عرس كئيب , ولحها بول عندما
ظهرت على قمة السلم ,

وألقت نحوه نظرة جانبية لتعرف هل ما
زال حانقا عليها , وطمأنتها أبتسامته
التي سخرت من مخاوفها , وصعد اليها
, وشعرت بخفقة في قلبها وهو يقول لها:
" تبدين كملاك في هذا الثوب

وأشعر أنك ستتلاشين فجأة وراء سحابة
, وتتركيني وحدي".

ورمقته بفضول وهما يدخلان حجرة
الطعام , ولأول مرة تساءلت إذا كان

تزوجها رغبة في رفقتها وليس لجمالها
فحسب .

وفي بدلة السهرة , كان خلافاً أكثر من
أي وقت مضى , شعرت به عملاقاً
أغريقيا في قميصه الحريري وسترته
السوداء , ولم تكن هي ضئيلة لكن طوله
الفارع جعلها تعاني ذلك الأحساس .
وفجأة داهمها الشعور بأنه يقاسي
الوحدة , أنه غني , ووسيم , وجذاب

الى حد الروعة , لكن هذا الرجل كان
وحيدا وغامضا , وهي أصبحت زوجته!
ولم تكن دومني ذاقت طعاما طوال اليوم
, وشعرت فجأة بالجوع ويانيس يضع
أمامها طبقا من المحارات الشهية ,
وهمست:

" يبدو لذيذا".

ومنحت يانيس أبتسامتها الحلوة ,
أبتسامة لم تمنحها الى بول قط , الذي لم

تتنبه الى أنه كان ينظر اليها وهو يفتح
الزجاجه , وفرقع غطاء الزجاجه ,
وفار السائل الذهبي , وأنسكب على
جوانب الزجاجه , وغمس بول أصبعه
ومسح بها خلف أذن دومني , وقال
مازحا في شيء من السخرية وهو يملأ
كأسها:

" هذا يجلب لك الحظ يا دومني ."

وجلس أمامها , وملاً كأسه هو الآخر ,
ثم رفعها مردداً نخباً باليونانية , فسأله
دومني دون أن ترفع رأسها عن الطعام:
" هل يمكن أن أعرف معنى ما قلت؟".
" قلت أن في كل كعكة زواج , الأمل
هو أحلى ثمرة".

وحيث رفعت بصرها , ولحت ضوء
الشموع يسكب ظلاله على صدغيه
وجبهته ذات الندبة , وسمعه يقول:

" مما يدعو للأسف أن أحدنا لم يعرف
الآخر بما فيه الكفاية , فلو كانت
الفرصة أتاحت لنا للرقص والنزهة
لساعدك ذلك على أن تكوني أقل
خجلا معي , لكن لا حيلة لنا في الأمر
, كانت لدي أعمال هامة هنا في انكلترا
أستغرق معظم وقتي , وهذه الأعمال هي
التي أتت بي على غير ما توقعت".

وشعرت برجفة تسري في كيانها , لأن
وصوله غير المتوقع الى أنكلترا , كان
أول خيط في نسيج الورطة , التي تعيش
الآن دوامتها , فلم يكن هناك وقت
لدى دوغلاس ليغطي وعجزت هي عن
أن ترى ابن عمها الضعيف الجذاب ,
محكوما عليه بالسجن لحماقته... تمنى
فقط أن يستوعب الدرس ... ولو على
حسابها !

وأنتهيا من تناول الطعام , وأقبلت زوجة
يانيس تقدم القهوة , كانت سمراء
متحفظة , تجري في عروقها الدماء
الرومانية , وقدمت لدومني هدية صغيرة
, فرحت بها , حتى أنها نسيت برهة أنها
ليست عروسا عن حب كما كانت لينا
وزوجها يظنان وكانت الهدية عبارة عن
سلة صغيرة من المعدن والزجاج مليئة
بالتفاح المسكر

وأبتسمت دومي قائلة:

" أنها جميلة للغاية وغير عادية كم هو

لطيف منكما! ".

ووقفت لينا لحظة تتأمل وجه دومي

الجميل , ثم قالت:

" لتكون السعادة دائما من نصيبك ,

وليباركك الله وليمنحك.... ".

ونطقت كلمة باليونانية , وساد الغرفة
صمت بعدما انسحبت لنا وأغلقت
خلفها الباب ,

وحينئذ لم تستطع دومني أن ترفع عينيها
عن وجه بول , وتلاشى الأشرار من
وجهها فجأة , وأمتلأت عيناها بنظرات
القلق وهي تسأل هامسة عن معنى
الكلمة اليونانية التي نطقت بها لنا...
ورد بول في هدوء قائلاً:

" تعني طفلا... صيبا... ".

وتحركت الندبة فوق عينه عندما لمح
الخوف في نظراتها , وأنحنت هي بسرعة
فوق صينية القهوة , ومألت الفنجانين
الصغيرين , بالقهوة التركية , وعندما
ناولت بول فنجانه كان وجهها مقنعا
بالجمود.

وشربا عدة فناجين , ثم نهضت دومي
, وأخذت تتطلع بقلق الى محتويات

الحجرة من لوحات فنية وقطع أثرية ,
وأخيرا وقفت أمام الستارة الكبيرة التي
تغطي النافذة , وفجأة تخلى عنها الهدوء
الذي ألتمته أثناء تناول العشاء , وأخذ
معه أهتمامها بجزيرة أندبلوس الذي
تحدث عنها بول ,
بهرها بعض الشيء وصفه جمال الجزيرة ,
وكلامه عن بيته القائم فوق ربوة عالية

مطللة على شاطيء خاص , كان
السكان يسمونه (بيت صخرة النسر) .
وفجأة قالت بصوت مختلج:
" دعني أذهب يا بول , دعني أذهب لو
كان عندك قلب , أنت تعرف أنني لا
أحبك" .

وهنا تقطع أنفاسها , وأحتبس صوتها ,
وأمسكت الستارة بيدها كأنها تحتمي بها
, وبينما كان بول ينهض من مقعده

ويعبر الغرفة في اتجاهها , تأملته , رأته
فيه قوة النمر وسيطرته أذ يمكنه أن
يسحق كافة العقبات التي تعترض طريقه
الى ما يريد.

وسأل:

" وماهو المفروض أن افعله إذا تركتك
تذهبين؟ هل تتوقعين مني أن أحرق هذه
الشيكات في مثل هذه الحالة , وأخرج
خالي الوفاض , أو أكتفي بالرماد".

" وما الذي يمكن أن يحققه لك زواجنا ,

لا شيء أيضا سوى ذرات رماد".

وكان اليأس يطل من عينيها وهي تتكلم

, وهو أمامها بوجهه الوسيم وكل قسمة

تنطق بالقوة وبالعناد , وعادت تقول:

" إذا أرغمتني على الحياة معك يا بول

... سأكرهك".

وأطلق ضحكة ناعمة وقال:

" الكراهية والحب متشابهان يا
أسيرتي... كلاهما عاطفة عمياء."
" لا يوجد حب بيننا... ولن يكون
أبدا".

وبرقت عيناها تؤكدان عن الحب المعنى
, وتقدم منها قائلا:
" آه... ولكنك تتكلمين عن الحب
الرومانسي".

وأقرب وأمسك بوجهها بين يديه
الدافئتين , وأخذ يبحث في أغوار عينيها
وهو يقول:

" يمكنك أن تجدي لدي أي حب ألا
ذاك النوع الذي تقرأين عنه في الكتب".
وأزداد خفقان قلبها وهو يتكلم ,
وفكرت في باري الذي أسعد قلبها
وجعلها تتساءل عن الحب وأسراره...
وعاد بول يهمس:

"هل أخبرك رجل من قبل أن لك عينين

رائعتين , أشبه بالسماء الصافية؟".

وأحني رأسه وقال:

" يجب أن تفهمي يا دومي أنني عندما

أعقد صفقة أحرص كل الحرص على

الوفاء بالتزاماتي , وأحرص أيضا على أن

يقوم الجانب الآخر بالتزاماته".

همست مصدومة:

" ذلك في العمل , ولكن هذه حياتنا ,
سعادتنا , هل أنت متشائم الى حد
يجعلك لا تؤمن بالسعادة , هل أنت
جامد , حتى أن شيئاً لا يؤذيك؟".
" لا يمكن أن يؤذيني ما يظنه الآخرون
عني , أنا يوناني , ولا يهمني إلا ما
أعتقده أنا في نفسي , عقدنا صفقة يا
دومني , هذا الصباح , أنت زوجتي ولن
أدعك تذهبين".

وأحست أنه يعني كل كلمة نطق بها ,
كان ذلك مسطورا على صفحة وجهه ,
الوجه الجميل , القاسي , تنبعث من
عينيه أشعاعات تطاردها وتخيفها ,
وفجأة تخلصت من ذراعيه , وقفزت من
الشرفة الكبيرة , وأسرعت بجنون في
أتجاه الشاطيء.

وتقاذفتها الرياح الباردة , وتعثرت فوق
الرمال بجذائها ذي الكعب العالي ,

فوقها كان القمر مختفيا وراء السحب ,
يلقي عليها ضوءا باهتا من الظلال .
وألقت نظرة مدعورة خلفها , كان بول
يتبعها , وفي الضوء الخافت بدا وجهه
شيطانيا , وأنطلقت تجري بكل قواها ,
بيأس غريب دفعها الى الهرب منه ,
حتى أنها لم تتبين مدى قربها من البحر
والصخور النائية عند طرف الشاطئ ,
وفجأة أرتفعت أمواج البحر , وأطلقت

دومني صرخة عندما تعثرت وسقطت
على صخرة , ثم شعرت بموجة هائلة
تغطيها , وتسحبها , وأصابتها برودة الماء
بصدمة بدأت تفقدها وعيها , لكن
صوتا هادرا كان يتردد في أذنيها :
" دومني ... دومني ".
مصحوبا بكلمة يونانية ضاعت وسط
هدير الأمواج.

وقفز بول بعدما خلع حذاءه غير عابئ
بالعاصفة وسبح بقوة في اتجاه الذراع
النحيل الذي كان كل ما ظهر له من
زوجته , وعلى ضوء البرق بدأ يلمح
وجهها المدعور , وبعد لحظة , كان
يضمها وسط الأمواج بينما تشبثت هي
فيه بعنف كتشبث الأنسان بالحياة ,
وساعدها على رفع رأسها فوق الماء ,
وبدأت تتنبه , وتدرك من هو منقذها

... بول... زوجها , الذي تركت

جسمها المدعور في حمايته.

وحملها حتى الشاطئ , وصعد بها سلام

الفيلا , ودلف الى غرفة الجلوس من

خلال الشرفة الكبيرة , وأرتجفت دومي

بين ذراعيه , وسعلت قليلا , وعندما

نظر اليها تساقطت المياه من شعره

الداكن على وجهها , وفتحت عينيها

الزرقاوين وتحركت شفتاها بلا صوت

ترددان اسمه وقال هو بمنتهى الرقة

:

"كل شيء على ما يرام يا طفلي

الحمقاء , أنت الآن في أمان".

وأسرع الى الأريكة البيضاء بجوار المدفأة

, وضغط على الجرس مستدعيا يا نيس ,

الذي أقبل ليجد بول راكعا بجانب

الأريكة , مقتربا من شفتي دومي

المرتجتين كأسا من الشراب , وحملق
الخادم فيهما , وقال بول بلهجة جادة:
" كنا نتنزه على الشاطئ , وسقطت
زوجتي في الماء أخبر لينا أنني أريد
زجاجات ماء ساخن في سرير زوجتي
حالا , وأيضا أن تعد لها حماما ساخنا ,
وأحضر لي أزار الحمام السميك ,
بسرعة".

وجرى يانيس الى المطبخ , وبال يونانية
شرح لنا ما حدث , فبدت الدهشة في
عينها , وقالت :

" هذا كارثة ليست علامة طيبة يا يانيس
, يقال أن من يغني في الصباح يبكي
قبل الصباح التالي".

" ما الذي تتحدثين عنه أيتها المرأة ؟".
وحدق يانيس في زوجته بينما كانت تملأ
الزجاجات بالماء الساخن , فقالت :

"ألم تسمعه يعني قبل الأفتار هذا
الصباح؟ عروسان يتنزهان على
الشاطيء في ليلة عاصفة... أليس
ذلك غريباً؟".

"تعتقدين أنهما تشاجرا؟".
"أظن أنه من الأفضل أن تسرع
بأحضار أزار الحمام , وألا ملأ البيت
صياحا".

وبعدما أحضر يانيس الأزار لسيده ,

قال بول لدومني:

" سأخلع ثيابك المبللة , لا تقاوميني

وَألا عرضت نفسك للأنهاك أكثر مما

أنت عليه الآن".

وكانت بالفعل منهكة جسمانيا وعقليا ,

وأرتجفت مثل قطة مبللة , كانت نظراته

ولمساته أبوية , وكان حانيا وهو يلفها في

الروب , وعندما رفعها عن الأريكة ,

تركت ذراعها يلتف حول عنقه , وظلت
على هذا الوضع وهو يصعد بها السلم
الى جناحهما الأبيض , حيث كانت لنا
في انتظارهما.

فقال لها:

" أعطها حماما ساخنا ثم ضعها في
سريرها , وناولها كوبا من الحليب
الساخن"

وأومأت لينا برأسها , وقالت دومني وهي

تقاوم ضعفها :

" تصبح على خير يا بول , أنا آسفة

على خروجي وسط العاصفة".

" أنا أيضا آسف , في أية حال , أنسي

ما حدث , وحاولي النوم , سأراك في

الصباح".

وأنصرف الى غرفته مغلقا الباب خلفه

جيذا , وبعد لحظات لحق به يانيس

وقال:

" أعددت لك حماما ساخنا يا سيدي".

وفي شرود سأل بول:

"ماذا قلت يانيس".

" أنت مبتل تماما يا سيدي , الحمام

جاهز".

وأبتسم بول وربت على ذراع خادمه
شاكرا.

وأستسلمت دومني للنوم بمجرد أن
أنتهت من شرب الحليب , كان نوما
ثقيلًا في البداية , بلا أحلام , ثم فجأة ,
حلمت أنها تجري على الشاطئ البارد,
تسمع هدير الموج , وتحس بكعبها
العالي يغوص في الرمال , وكان القصر
يطل عليها من خلال السحب , وشيئا

ما كان يتعقبها , وأستدارت وألقت نظرة
سريعة , فرأت قطا ضخما يطاردها
تتسع عيناه بريقا ذهبيا مخيفا , كانت
متأكدة أن الحيوان إذا أمسك بها ,
فسيمزقها أربا.

وأخذ يتقدم ويتقدم , وعندما أوشك أن
يمسك بها , صرخت:

" دومني , طفلتي , ماذا حدث؟".

وأفاقت على الصوت , وتلاشى
الكابوس , ووجدت النور مضاء , وبول
منحنيا فوقها , ممسكا بكتفيها بيدين
دافئتين ثابتتين , وعاد يقول بحبث وقلق
معا:

" هل من عادتك أن تصرخي في
نومك؟".

" هل.... هل صرخت حقا؟".

وتأملته على الضوء الخافت خصلات
شعره الداكن متهدلة فوق جبينه ,
والبيجاما السوداء الحريرية مفتوحة ,
يظهر منها صدره العريض الكثيف
الشعر .

وسألت:

" كم الساعة ؟ هل أقرب الصباح؟".

" جاوزت الساعة منتصف الليل

بقليل".

ثم أفرّ ثغره عن أبتسامة كشفت أسنانه
البيضاء , وهو يقول مازحا:
" أرجو فقط ألا يكون يانيس وزوجته
سمعا صرختك".

وهزت كلماته قلبها , ورغم ذلك
وجدت نفسها تبتسم وتقول هامسة:
"أعتقد أنه كابوس ؟ يا للغرابة , لم
يحدث لي ذلك منذ كنت طفلة".

ونظر اليها بول , ثم جلس على حافة
سريرها , وسألها :

" هل كان كابوسا يتعلق بي؟ ولكنني يا
دومني لن أسوء اليك أبدا , ألا تعرفين
ذلك؟".

وأمسك بيدها ورفعها الى قلبه ,
وضغطها , وعلى الضوء الباهت تأملت
دومني وجهه , ومن جديد لمحت معاناة
الوحدة على ملامحه فظلت راقدة بلا

حراك وهي ترنو اليه بعينها الزرقاوين
الواسعتين , كانت ترى غريبا ليس سوى
زوجها وفي اليد التي ضمها الى قلبه
الغريب , الأجنبي , المعقد , لمحت الخاتم
الذهب الذي يؤكد حقوقه عليها.

.....نهاية الفصل الثاني.....

3- الهدية المرفوضة

.....

عندما استيقظت دومي ، كانت أشعة

الشمس تسلت من خلال ستائر

حجرة النوم لكن خلال لحظات ظلت

غير قادرة على معرفة مكان وجودها .

وتجولت ببصرها في أرجاء الحجرة ، ثم

وقع نظرها على صينية

الشاي الموضوعة على مائدة بجانب

سريرها ، وحدقت في أثارعلى الوسادة

المجاورة ، وفي لمحة عادت إليها ذاكرتها ..

لقد تزوجت بول ستيفانوس ، اليوناني
الوسيم الغامض .

الذي يملك خطوطاً للملاحة البحرية ،
والذي سرق منها ابن عمها دوغلاس
مبلغاً كبيراً .

وكانت يداها ما زالتا تشعان بلمس
كتفي بول العريضتين الصلبتين ،

وعقلها ما زال واعياً للكلمات اليونانية
الغريبة التي همس بها محموراً في الليلة
الماضية .

وتذكرت أنها استغرقت في النوم قربة
وجلست وسكبت لنفسها فنجان شاي
ورشفت منه بابتسامة على شفيتها .
ورنت باسترخاء الى يدها اليسرى حيث
خاتم الزواج ، مشيراً لها بمستقبل لا
تجسر على التفكير فيه .

واخذت حماماً ثم ارتدت بنطلونا وبلوزة
بيضاء من الحرير وبعدها مشطت شعرها
، عقصته الى الخلف بمشك ، ولحت
في المرأة النظرة الجديدة في عينيها ، نظرة
المعرفة العميقة الغامضة .

وارتسمت على فمها ابتسامة وهي
تأمل عنقها الطويل ..

الا أن امتلاكها اياها في الليلة السابقة لم
يفزعها .

ولمحت احتقاناً ينساب الى وجنتيها ،
واستدارت بسرعة لتهرب من عينيها .
وعندما دخلت غرفة الطعام ، كان بول
أمام المائدة يقرأ صحيفة الصباح
ورفع رأسه وابتسم قائلاً :

(صباح الخير يا سيدة ستيفانوس) .
ووقفت في حياء بعدها ردت التحية ، ثم
جلست بدورها ولاحظت الشمس
تلقني بأشعتها على شعر بول الداكن .

واطمأنت الى أن عاصفة الأمس انتهت
على خير ، وأصبح الجو صافياً ،
وأبدت هذه الملحوظة لبول الذي سأها
:

(هل نذهب الى لوو في السيارة ، أم

تفضلين السير ؟)

(دعنا نسير)

(حسنا)

وصب لها القهوة ، وتلامست أصابعهما
وهو يقدم لها الفنجان .

والتقت عيناها وسمعته يقول :

(تلاشت الظلال من عينيك هذا

الصباح يا دومي) .

وخيل اليها أن هذه الظلال القائمة

استقرت في عينيه ، لكنها ما لبثت أن

تبينت وهم أفكارها عندما رآته يتسم في

مرح طفولي ،

ثم يطلق ضحكة قائلاً :

(يسرني أن حادثة الأمس لم تصبك

بأذى)

(أنني بخير)

ولم تنظر اليه لكنها أحست فجأة

بالدماء تتصاعد الى وجنتيها ، وسألت :

(هل أنت بخير ؟)

(بكل تأكيد يا زوجتي العزيزة)

وفتح ذراعيه مثل قط قوي سريع الحركة
، ولاحظت على السترة التي يرتديها
علامة بيت أزياء مشهور في اسكتلندا ،
فسألته عما اذا كان قد زارها ، فأجاب
:

(لقد سافرت الى أماكن عديدة ،
ولكنني أشعر دائما باللهفة للعودة الى
أنديلوس، الشمس هناك حارة يادومني

،وعليك أن تأخذي حذرک حتى لا

يحترق جلدك الأنكليزي الرقيق)

وشعرت بخفقان عصبي في قلبها لشارته

الى الجزيرة حيث ينتظرها مستقبل

مجهول ، وقالت :

(بل سأعرض للشمس قدر الأماكن ،

لأكتسب سمرك نفسها).

وأسند ذقنة الى يديه ، وأظهرت
ابتسامته مدى جاذبية فمه ، وقال
مازحاً :

(هل تجرؤين على أفساد هذه البشرة

البديعة؟ أنك ملكي الآن يا سيده

ستيفانوس ، ببشرتك البيضاء وكل شيء
فيك).

علقت ساخرة :

(بالطبع ، أختطفتني كأسيرة ، أليس كذلك

؟)

وأختلج صوته وهو يسألها :

(هل أنت نادمة يا دومني على ليلة أمس

؟

كنت جميلة للغاية ورائعه ، لم أستطع أن

أتركك ، أعرف أنني لست رجلاً سهلاً

اكتشافه والتعامل معه لكنني أعتقد أنه
يمكنني أن أسعدك ، إذا سمحت لي
بذلك).

والتقت عيناها بعينيه ، وتذكرت من
جديد السعادة المتبادلة غير المتوقعه التي
غمرتها ليلة الزفاف, والتي كانت نهاية
غريبة ليوم عصيب . وتركته يحتضن يدها
، ويلمس خاتم الزواج الذهبي في إصبعها

ثم قالت :

(حدثني أكثر عن الجزيرة).

ولم تسأله من قبل مطلقاً عن وطنه وأهله

بمثل هذه اللفهه , والآن عرفت أن أخاً

يصغرة مات منذ ثمانية عشر شهراً ، وله

أيضاً أخت غير شقيقه تعيش مع عمته

صوفي وأبناها نيكوس ، في بيت قرب

ميناء انديلوس ، وعمته تزوجت من

ضابط بحري .

فالبهار والسفن في دماء كل أفراد أسرة
ستيفانوس ، ونيكوس كان يستعد ليصبح
شريكاً في خطوط بول البحرية
عندما يبلغ الواحدة والعشرين من عمره

وسأله عن اسم أخته التي لم تكن تعرف
بوجودها ، وأخذت تتأمله ، مدركة أنها
لا تعرف عنه إلا القليل ، وابتسم قائلاً

:

(اسمها كارا وهي في السادسة عشر من
عمرها وكثيرة الحركة عفريته ولكن لطيفه
ومرحه كالغزال البري) .
(لا أعرف إلا القليل عنك وعن أهلِكَ
يا بول) .

واستقرت عيناها على الندبة ،
واستأنفت قائلة :

(مثلاً ، كيف جرحت ؟)

(آه ، هذه قصة طويلة ، ربما حكيثها

لك ذات يوم، ولكن ليس هذا

الصباح).

وابتسم وظلت عيناها جامدتين, وبدافع

خفي نهضت دومني ، ودارت حول

المائدة لتقف بجانبه .

وأمسك بها في صمت , ثم جذبها وتأمل

وجهها بعينيه ، هذا هو بول :

رددت ذلك لنفسها ، ودخل يانيس
بعدها طرق الباب ، وانتظر لحظة
واحتقن وجهه دومي وهمت بأن تفلت
لكنه تمسك بها بدون حرج ، بينما كان
يانيس يسأل إذا كانا يرغبان استعمال
الأقدام حتى مدينة لوو ، وسيتناولان
غداءهما هناك .

وانحنى يانيس ، لكنه لم يستطع أن
يحتفظ بجديته المعتاده عندما وقع بصره

على دومي بين ذراعي سيده ، وقد

احتقنت وجنتاه بشدة .

واستطرد يانيس يقول :

(أمر آخر يا سيدي ، لم أستطع تنظيف

الأريكة ، فمياة البحر والرمال أتلفت

حريها الرقيق) .

وابتسم بول وهو ينهض واقفاً وقال :

(لا تقلق يا نيس ، ربما تستطيع لنا

تدبير غطاء مؤقت للأريكة . وسأعوض

أصحاب الفيلا تعويضاً مناسباً ، ثم أننا
لن نبقى هنا أسبوعاً . لقد اتصلت
تليفونيا بالمسؤولين لتغيير موعد الحجز
في الطائرة .

سنطير إلى أثينا صباح غد .

وكان لنظرة الدهشة في عيني يانيس
صداها في عيني دومي عندما حدقت
في وجه بول وسألت :

(لماذا التغيير) ؟

(لنقل أنه الحنين إلى وطني وبيتي لا
أستطيع الأنتظار طويلاً يزوجتي الصغيرة
قبل أن أريك جزيرة أنديلوس).
وربما كان صادقاً ، لكن دومني بدأت
تعرف أنه عندما يكون شارد التعابير ،
فأما أنه قلق ، أو أنه يضيق بشيء ما .
وأحست هذه المرة بأنه قلق ولهذا الأمر
صلة بها .

وبعد نصف ساعة بدأت مسيرتها إلى
لور،

كان يوماً شاقاً من أيام الربيع ،
وأحست دومني وهي الشغوفة
دائماً بالحياة في الهواء الطلق ، بالتجاوب
مع الجو ، ومع المنظر الطبيعية ، وأيضاً
مع الرجل الذي كان يسير بجانبها .
شعرت أنها عروس في ذلك اليوم ،
وغمرتهما نظرات أعجاب كثيرة وهما

يدخلان المدينة ، ويتجهان إلى المصرف

،

كانا في طريقهما إلى استرداد الشيكات

المزورة ، وفكرت في الليلة السابقة ،

محاولة العثور على هذه الشيكات

وإتلافها ، حتى تكون حرة في الهرب من

ذلك الزواج .

وأختلست نحوه نظرة, كانت أشعة
الشمس تنعكس فوق شعره الأسود
المجعد.

وكان يضع نظارة شمس قائمة على عينيه
، إذ كانت عيناه كما أخبرها لا ترتاحان
إلا في الضوء الخافت ، وكان يعاني
صداعاً إذا لم يحجبهما عن الشمس من
وراء النظارة ظهر ذلك الغريب الغامض

الذي اقتحم حياتها ، وأرغمها على
الزواج .

ذلك الرباط الذي لن ينفصم إلا بموت
أحدهما ،

وبينما ذهب هو إلى المصرف ، تفرجت
دومني على واجهة محل لبيع التحف ،
وبدافع خفي دخلت ، وسألت عن نقالة
ورق صغيرة من النحاس على شكل
حيوان أشبه بحصان له قرن ..

أرادت أن تقدمه لبول ، لسبب أنثوي
غريب !

وأقبل بول من المصرف ، في الوقت
الذي خرجت هي من المحل .

وهرعت إليه ، وشعرها العسلي الكثيف
يتطاير, ومدت يدها إليه بالهدية قائلة :

(أنظر ، هل تروق لك ؟)

وابتسم قائلاً :

(هل كنت تبحثين لنفسك عن لعبة ؟
كم ثمنها ؟ سأدفعه).

(لا يمكن ، هذه هدية مني ، سيبدو
النحاس لامعاً جميلاً كعملة جديدة بعد
أن أفركه).

(أحقاً تقدمينها لي ؟).

سكتت ، ثم استطردت قائلة :

(أعتبرها هدية الزواج ، لا يمكنني أن
أقدم شيئاً أغلى منها).

همس بول :

(أنها هدية غالية لأنها منك).

وأعاد النظارة فوق عينيه ، فلم تستطع

أن تقرأ فيها الأثر ، ولكنها أحست من

نبرات صوته أنه أحب هديتها الصغيرة .

وتراقصت ابتسامة على شفثيه وقال

وهو يمد يده إليها :

(ها هي الشيكات يا دومي ، لكن
أخشى ألا أستطيع أحراقها وسط
الطريق).

(إذن ننتظر حتى نعود للفيلا).

،
وخفق قلبها بعنف ، كانت تريد أتلاف
الشيكات بعيداً عن حياتها إلى
الأبد, لكنها أحست أن من واجبها أن
تظهر لبول أنها نثق به.

وصاح هو :

(كلا ... يجب أن ننتهي من أمرها).

وتلفت حوله ، ورأى سلة المهملات
قريبة ، وبسرعة مزق الشيكات قطعاً
صغيرة ،

وتطاير بعضها ، ولحت خط دوغلاس
عليها ، ولحت أيضاً أسم بول .

وتناولوا طعام الغداء في مطعم قديم ، ثم
وجدوا مكاناً منعزلاً على الشاطئ الرملي

، تمددت دومي ، وتوسدت ذراع بول
، وهي تنصت إلى هدير الموج ، ونبضات
قلب زوجها الغامضة .

وأحست بالدفء يسري في كيانها ،
وأيضاً بالراحة ، وهي في رفقة الرجل ،
الذي تساءلت إذا كانت ستحقد
عليه ، لأنه انتزعها من فردان ... ومن
حياتها الوديعة .

وداعب شعرها وقال :

(دومني ، سأطلب منك أن تعطيني
وعداً ، وسأتوقع منك الالتزام به).
وحدقت في وجهه الذي بدا عابساً ،
وأحست أنه ما زال غريباً عنها,وسألت
:

(ما نوع الوعد الذي تريده مني ؟)
(أن تبقي معي ، مهما يحدث بين اليوم
والغد, عندما نترك انكلترا لنذهب إلى
اليونان).

وانتفضت جالسة .. وازاحت شعرها إلى
الوراء بعيداً عن عينيها وتنهدت وسألته
في قلق :

(ما الذي يمكن أن يحدث يا بول ؟)

(ربما عدت إلى كراهيتي ثانية) .

وأمسكت بذراعة ثانية :

(أنك تخيفني يا بول ، لقد كنا سعيدين

اليوم .. هذه السعادة يمكن أن تستمر

.(

(من يمكن أن يتنبأ بالمستقبل ؟)

والتقط نقالة الورق الصغيرة وأخذ

ينظفها من الرمال التي علقت بها ، ثم

عاد إلى القول :

(هل تعرفين إلى أي شيء يرمز هذا

الحيوان الذي يشبه الحصان؟)

وهزت رأسها بالنفي ، ولمحته عابساً

شارداً فشعرت بأصابع باردة تعصر

قلبها بمزاجه المفاجئ من دقائق كان
يعانقها فوق الرمال ، والآن تعكر مزاجه
وبدا مكتئباً ، وأعاد النظارة القائمة إلى
عينيه ، وقال :

(هذا الحيوان يرمز إلى أكثر الأمور
مراوغه في العالم ، السعادة الحقيقية ، أنه
مخلوق وهمي ، خيالي ، وكذلك شأن
السعادة ،

مجرد وهم بالنسبة إلى البعض قد يمزقها
الألم والكوارث، ولكن ذلك في الحقيقة
لا يقضي عليها تماماً، وبالنسبة إلى
البعض الآخر يوجد شق في الأساس منذ
البداية،
ولذا قد تتداعى أمام أول عقبة، وأساس
علاقتنا به شق يا دومني وكلانا يعرف
ذلك.)

وارتجفت لسماع كلماته ، بينما استطرد

هو يقول واضعاً يده فوق يدها :

(يجب أن أخذ منك وعداً بأنك

ستستمرين معي مهما حدث) .

وبدا كلامه غامضاً ، وشعرت أنه يئن

تحت وطأة الشعور بالذنب ، وذاب قلبها

ونظراتها تستقر على الندبة التي لم يشأ

أن يحدثها عنها وقالت :

(أنت زوجي في السراء والضراء, أنا لا

نستطيع أن نحطم رابطة الزواج.

وأن كنا نستطيع أن نحطم أشياء أخرى)

(إذن فهذا وعد ؟)

(أنه وعد يا بول)

وتنفس الصعداء - ثم أشعل سيكارة

وكان لا يزال شارد، إذ ظل عود الثقاب

بيده حتى أحرق أصابعه .

وأستمرت دومي تراقبة ، وسرت عندما
بدت عليه علامات الأرتياح بعد قليل ،
فجأة سألته :

(أنت لست يونانياً تماماً ، أليس كذلك
يا بول ؟)

واستدار في دهشة !

(كيف عرفت)؟

(من عينيك عندما أستطيع رؤيتها ،

وأيضاً من تكوينك) .

(جدتي أنكليزية ، ولكن ما دخل
تكوينني في كوني لست يونانيا مائة في
المائة ؟

ألم يكن قدماء الأغريق طوال القامة ؟
وابتسمت .. واقتربت منه بوجهها قائلة
:

(وهل اخترت أن تتزوج انكليزية من
أجل جدتك ؟)

(ليس تماماً لكن في أية حال ،

للانكليزيات سحر غامض).

(تعني أننا لا نعرض بضاعتنا كلها في

واجهة المحل)؟

وضحكت ووجدت أصابعها وأصابعه

وسط الرمال ، وقال هو يلتهمها بعينه

:

(تماماً، الرجل دائماً يتوقع منهن غير

المتوقع).

(هل عرفت كثيرات من بنات وطني يا

بول)؟

(تراني أثرت بعض غيرتك)؟

(كلا)

وأطلقت ضحكة عصبية ، بينما كان هو

يعتصر أصابعها بين أصابعه .

واقتربت من صدره ، وخبأت فيه وجهها

خجلاً من الأحاسيس التي أستبدت بها

انبهار برجولته وتمتت :

(يالك من متوحش)!

وضمها في قوه وقال :

(أن من يوصفون بالمدينة ليسوا كذلك

تماماً يا أسيرتي ، لكن أمازلت أخيفك ؟

أما زلت في نظرك الرجل الجامد القاسي

؟ لم تكوني بالأمس خائفة عندما

ضممتك ، وامترجت نبضات قلبينا) .

،

همست في حياء :

(لا أستطيع لا أستطيع أن أتكلم عن ذلك) .

وألقى سيكارتة فاستبدت بها أحاسيس

عنيفه ، وفي الوقت نفسه مخيفه

وأحست أنها لا تستطيع أن تفهمه أبداً

، أو أن تعرف القوى الخفيه التي تحركه ،

وتجعله يتقلب بين الرقه والعنف .

ما الذي كان يريد منيها ؟ الحب ؟

ولكن كيف كان لها أن تخبره بأنها تحبه

،وهي نفسها لا تعرف حقيقة مشاعرها
نحوه؟ ووعادا إلى الفيلا مع غروب
الشمس ، وعند دخولهما الصالة ، وقع
بصرهما على مظروف أصفر بجانب
الهاتف ، كانت برقية يأسم دومي ،
وفتحت المظروف بأصابع مرتجفه ،
وراقبها بول وهي تقرأها ، وعلى وجهه
قناع غامض ، وعندما رفعت عينيها

أخيراً ، نظرت إليه من رأسه إلى قدميه ،
وأحست كما لو كانت قد أمضت
الثماني عشر ساعة الأخيرة نائمة تحلم
والآن استيقظت من جديد واستيقظت
على الكراهية التي لم تقاومها إلا لفترة
محدودة .

وكان بول هو الذي بدأ الكلام ، قال :
(هذه البرقية من عمك طبعاً) .

وناولته أياها بدون أن تنطق , وقرأ :

(عرفت بأمر الشيكات من دوغلاس -

اتصلت ببول هاتفياً ليلة أمس .

عودي يا عزيزتي) .

وبصوت بارد قالت دومني :

(إذن اتصل بك عمي ليلة أمس) ؟

(رغم علمك بأن دوغلاس أخبر والده

بالأمر كله ، ورغم ذلك جئت إلي و ..

و ..

،

(لم أتعمد ذلك يا دومي ، وأعتقد أنه

لا يجوز أن يصيح أحدنا في وجه الآخر

في الصلاة .. أمام يا نيس وزوجته .

وأمسك بذراعها ورافقها نحو غرفة

الجلوس وأغلق الباب ثم

أسنده بظهره وقال بهدوء :

(جئت إليك ليلة أمس لأنك صرخت

أثناء نومك ، وكنت قلقاً عليك .. ولكن

.. لو أنك رفضت وجودي لعدت إلى
غرفتي .

أنا لم تصديني ولذلك . ولا يمكن أن
تنكري أنك نسيت كراهيتك لي ليلة
الأمس ،

وأنا كنت لطيفة معي طوال هذا
اليوم).

وأطلقت دومي ضحكة متوترة ، وتأملته
أذ فقد سحره في عينيها وقالت :

(أردت أن تتمتع بلعبتك الجديدة ،
بملكيتك ، وكان لك ما أردت . أنت
قلت ذلك في هذه الغرفة ليلة أمس
وكان علي أن أفي بالتزاماتي الزوجيه
سواء رغبت في ذلك
أم لم أرغب ولا بد أنك مسرور لأنك
نلت ما تريد بدون مقاومة).
(كلا يا دومني ، كلا).

(لا تلمسني ، لا تلمسني و إلا

أصابني الغثيان من مشاعري الحمقاء ،
ومن أعتقادي لفترة أنني يمكن أن أتعلق
بك ،

لا بد أنك طوال اليوم كنت تسخر مني
!

عندما مزقت الشيكات ، عندما تركتك
تقبلني فوق الرمال حسناً ، إذا كان

جسمي هو ما أردت ، أذن فلك ما
أشتريت ، ولكنك بكل مال
الدنيا لا يمكن أن تشتري ثقتي أو حبي
وزوجة بدونهما لا تعني شيئاً
يا بول .)

وتجمدت تعابير وجهه ، وبدا كما لو
كان تمثالاً من حجروقال :
(أحتفظي بحبك لنفسك هل طالبتك به
مره؟)

(كلا ، ليس بالكلمات ، ولكن لا
أعتقد أنك لست أنساناً حتى تستمتع
طويلاً بصحبة زوجة تكرهك, كيف تجرؤ
يا بول على

حرمانى من حرية الأختيار بين فردان
وانديلوس)؟

(اليوناني وحده يستطيع أن يتحدى
الأقدار ، ولو أنى تركتك ليلة أمس
تحدثين مع عمك ، لهربت إلى فردان ،

إلى عمك ، هل هذا كل ما تطمعين به في

الحياة ؟ أن تظلي فتاة تقوم بكل

الأعمال في بيت ليس بيتها ، بيت

مرهون حتى آخر جزء فيه)!.

(فردان بيتي ، ووطني ، أحب كل حجر

فيه ، لا أستطيع أن أشعر بذلك بالنسبة

إلى بيتك).

(ولكنك ستعيشين هناك معي).

(لأنني أعطيتك وعداً ، ولن أنكث
بوعدي).

(شكراً ، يا دومي) .

وتجمدت نظراتها وهي تقول :

(لا تشكرني يا بول ، لأنك ستندم فيما

بعد على أنك جئت إلى فردان والتقيت

بي).

،

وفتحت الباب ، واتجهت إلى السلم .
كانت تنتفض انفعالا وشعرت بالضعف
وهي تصعد الدرجات ، واضطرت أن
تستند على سياجها ، وتنفس
الصعداء ، عندما وصلت إلى حجرتها ،
واستلقت فوق سريرها
ودفنت وجهها في الوساده ولم تستطع
البكاء تجمدت الدموع في عينيها .

وشعرت بثقل خاتم الزواج في إصبعها
أشبهه بالقيد الذي يربطها برجل بلا قلب

رجل أرغمها على زواج لا حب فيه
تحدث عن الشق الموجود في نسيج
علاقتها وقال أن أول عقبة يمكن أن
تحطم هذه العلاقة ...

كان يعرف أنها لن تغفر له خداعه
وسخريته من ثقته به ليلة أمس .

وسرت رجفة في أعماقها وهي تتذكر
الكلمات التي همس له بها :
(أترك ذراعيك حولي يا بول .. ودعني
أنام هكذا).

.....نهاية الفصل

الثالث.....

4-مرارة الرواسب

.....

حان موعد العشاء , وأرتدت دومي
ملابسها , برغم رغبتها القوية في أن
تغلق عليها غرفتها , ولا ترى بول أبدا ,
كانت أنكليزية حقيقية , وما كانت
لتلوذ بركن مظلم تخفي فيه نفسها مجرد
أنها جرحت , كان عليها أن تظهر بوجه
شجاع لتواجه عدوها ببقايا ما ترك لها
من كبرياء .

وأحس بول وهو يتأملها عبر مائدة
الطعام , أن الفجوة بينهما لم تكن أبدا
على مثل هذا الأتساع , كانت مهذبة ,
وكانت تنصت اليه , وترد عليه , وهو
يخبرها عن أنواع السفن المختلفة التي
تملكها شركته , بل أنها تكلفت أبتسامة
صغيرة عندما سرد عليها بعض نوادره
عن الركاب , لكن ألما قائما كان يومض
في عينيها الزرقاوين بين الحين والآخر .

وذهبا بعد العشاء الى غرفة الجلوس
حيث أعد بول آلة العرض وشاشة
عرض عليها مجموعة الأفلام التي صورها
لرحلاته, أذ كانت هذه هوايته, كانت
الأفلام مليئة بالمناظر الخلابه , ولكن لم
تكن توجد لقطة واحدة يظهر فيها
وسط مجموعة أصدقاء , أو حتى رفيقة
واحدة , وعندما أنتهى العرض , وأضاء
النور سألته دومي :

" هل تسافر دائما عندما تكون في
أجازة؟".

وسكب شرابا , وأبتسم قليلا وهو
يناولها كأسا وقال:

" أحب أن أنطلق وحدي , أنه شذوذ
غير مؤذ أليس كذلك؟ في أية حال فأني
أصحب يانيس معي كمرافق , لأنني
كسول للغاية لا أعرف كيف أرتب
ملابسي".

وأخذت تتأمله بفتور ولا مبالاة , وقالت
لنفسها :

" أن رجلا بمثل وساومته لا يمكن أن
يقضي أمسياته دائما وحيدا , حتى لو
كان ذلك شأنه نهارا , لا بد أن نساء
أخرى كن في حياته , نساء أحسن
بجاذبيته , وحاولن ترويضه , ولكن لا
ترويض لرجل مثله! "

ولما كانت تنسى أفكارها الحزينة أثناء

كلامه , قالت متعمدة:

" حدثني عن اليونان".

ورفع كأسه لتحيثها , ثم أستلقى في

مقعده , بينما ألقى الأضواء ظلالها

على وجهه , وقال:

" اليونان أرض المتناقضات , أرض

الشمس المشرقة والظلال , أرض

التسامح والأنتقام , بعض الأجزاء

قاحلة , والأخرى غنية بمحاصيلها من
العنب والتين والزيتون والصنوبر , آه
الصنوبر أنه يملأ المكان برائحته الحلوة
."

وسكت وحدث بعينه الداكتين في نار
المدفأة , وعاد يقول:

" اليونان أرض أما أن تحب , أو أن
تكره مثل أهلها , والأساطير القديمة ما
زالت حية في أطلالها , وعندما تشاهدي

مدينة أثينا الآن من الصعب أن تصدقي
أنها منذ أعوام ليست عديدة , كانت
ممزقة ببشاعة , الآخ كان يقاتل أخاه ,
والكثير من أطفالنا أخذوا عبر الجبال
الباردة كقطعان غنم الى ألبانيا وبلاد
أخرى معادية , ما كنت إلا طفلة يا
دومني عندما حدث كل ذلك".
وقالت برقة لأنها عرفت مدى حبه
لليونان:

"أنت نفسك يا بول لم تكن كبيرا".

قال في أبتسامه جافة وحزينة أشبه بأوراق

الخريف عندما تسقط عن الأشجار

لتموت على الأرض:

"كنت كبيرا بما فيه الكفاية لأن أرى

الكثير , لكنني لا أتكلم على هذا

النحو لأستميلك يا دومني , أو

لأكسب ودك".

" بالطبع لا , ليس العطف هو ما تريده

يا بول , أليس كذلك؟".

وأعتلت أبتسامة شفّتيه , وقال:

" أتساءل إذا كنت تؤمنين بالروابط

القدرية , كان من المحتم أن نلتقي

فما رأيك؟".

" أرى أن القوى الخفية ليست دائما

رؤوفة بالبشر".

وأصبح الحديث بينهما متقطعا , وطالت
فترات الصمت , وصارت كل حركة
تنمي أحساس كليهما بالتوتر , فعندما
بدأت النار تخبو في خشب المدفأة ,
ألتقت عيناها فوقها , وعندما تحركت
الستائر , متأثرة بتلك التيارات التي تغزو
الغرفة عندما تخفت فيها نار المدفأة ,
ألتقت عندها مرة أخرى عيناها .

وعقدت دومي يديها في حضنها , يجب
عليهما أن ينهضا الآن , وأن يصعدا الى
الطابق العلوي , لا يستطيعان البقاء الى
ما لا نهاية في غرفة الجلوس التي بدأت
تضيق بوجودهما وتحفزهما على الخروج
منها.

ثم فجأة بدأت الساعة تدق , وتعلن
منتصف الليل , وقفز بول واقفا ولحت

دومني الخشونة المباغته التي أكتسى بها

وجهه وهو يصيح:

"أصعدي الى الطابق العلوي فلن

ألمسك , اعرف أنك تشمئزين لمجرد

رؤيتي".

،

ونفضت بدورها , ووضعت كأسها جانبا

, وكان وجهها خاليا من التعبير وهي

تقول:

" تصبح على خير يا بول ."

ورد عليها التحية باليونانية , وخرجت

من الغرفة ... رشيقة في ثوبها الأزرق

متناقلة قليلا في مشيتها كطفلة صغيرة

متعبة , وتتبعها بول بنظراته حتى أغلقت

الباب خلفها , وحينئذ تقلصت أصابعه

حول الكأس , فأنكسر محدثا صوتا ,

وسالت قطرات المشروب على يديه.

لم تسمعه دومني يدخل غرفته المجاورة الا
في وقت متأخر , وتمددت متوترة وهي
تفكر :

" يجب ألا أصرخ الليلة إذا نمت "

لكنها في النهاية وقد أنهكتها عواطفها
الممزقة نامت نوما عميقا , حتى أيقظتها
لينا حاملة اليها شاي الصباح.

كان عليهما أن يغادرا المكان في الثامنة
والنصف , لكن كان على دومني أن

تحدث مع عمها قبل الرحيل ,
التحدث اليه البارحة كان مستحيلا , أذ
كانت في حالة اضطراب لا تسمح لها
بذلك , ولكن هذا الصباح أستردت
بعض الهدوء , وتيقنت أنها تستطيع أن
تبدو مقنعة عندما تقول لعمها أنها
متشوقة لرؤية الجزيرة التي ولد فيها
زوجها , حيث سيعيشان.

وكان بول يقف في غرفة الجلوس مع
يانيس أمام الحقائق , عندما أدارت
دومني الرقم الذي يوصلها بيت
طفولتها , كانت تريد أن تطمئن عمها
مارتن الى أنه لا حاجة به الى القلق على
دوغلاس , ودعت الله في صمت أقناعه
بأنها سعيدة في زواجها ببول ستيفانوس.
وأقبل زوجها من غرفة الجلوس بينما
كانت في أنتظار توصيلها بفردان ,

ونظرت الى وجهه الطويل الأسمر وهو
يصعد السلم , ويمشي في الممر المؤدي
الى الجناح الأبيض , تركها تتحدث بحرية
ولكنها لم تشعر نحوه بالعرفان , أنه لم
يتصرف بشهامة الا بعدما أملى أراذته.
ولكن الدفء أخذ يسري في صوتها
وهي تقول:

"عمي مارتن... كيف حالك أيها
العزير!"

وتكلمت دومي مع عمها خمس عشرة
دقيقة ,وقالت له بحزم أنه يجب ألا يقلق
بشأن دوغلاس , وأن كل شيء أصبح
على ما يرام الآن , وأنها متأكدة أنه بعد
تورطه مع بول لن يعود ثانية الى مائدة
القمار , أجل , بول كان مصدر أرهاق
, كلا , بالطبع , فهو لم يرميها هي
يا لها من فكرة!

وأطلقت ضحكة , وأستطردت تقول
بسرعة أنها شاهدت بعض الأفلام عن
اليونان , عرضها بول في البيت , وأنها
تبدو بكل تأكيد بلادا أثرية رائعة.

وقال عمها بصوت متهدج:

" سأفتقدك يا دومي , هل أنت متأكدة
أنك سعيدة مع بول؟".

ونظرت الى الجدار الذي يعلو منضدة
الهاتف , وقاومت مخاوفها من الحياة التي

تنتظرها مع رجل لا يحبها , وقالت

تطمئن عمها:

" يستطيع أن يكون لطيفا , وهو رجل

وحيد للغاية".

وكان بول في تلك اللحظة يهبط السلم

, وفهمت من وجهه أنه حان الوقت

لتودع عمها , ولم تعد تخشى أن يدرك

من صوتها أنها غير قادرة على حبس

دموعها وهي تقول له:

"وداعا... وداعا... سأكتب اليك

بمجرد وصولي الى أثينا".

وتردد صدى الكلمات في ذهنها وهي

تخرج لركوب سيارة الأجرة مع لينا

ويانيس , ولحق بهم بول بعدما أحكم

أغلاق الفيلا , وأنطلقت بهم السيارة

الى المطار , كانوا سيطيرون الى باريس ,

ومن هناك يأخذون طائرة أخرى الى

أثينا.

بعد الأجراءات المربكة التي تمت بعد
وصولهم الى مطار أثينا , ركبوا عربة الى
فندق (هيلينيك) الكلاسيكي الذي كان
ذا شرفة واسعة تستخدم مطعما
ومقاصف للرقص , ومن نوافذ
جناحهما كان (الأكروبوليس) يظهر
على ضوء النجوم , وذكر بول أن سحره
التاريخي يتجلى في الليل ومع الفجر .

وكان يانيس وزوجته قد أعفيا من
واجباتهما , وأخذا أجازة , وكان عليهما
أن يتوجها بعد ثلاث أسابيع الى جزيرة (
أنديلوس) قبل وصول بول وعروسه
اليها بأسبوع.

وشعرت دومي بالتوتر لوجودها وحدها
مع بول , عروس غريبة في أرض غريبة ,
ولكن لم يكن في المستطاع تجنب ذلك ,

وكان عليها أن تعتاد زوجها عاجلا أو
آجلا".

كانت متعبة بعد الرحلة الطويلة , لذلك
تناولت الطعام ذلك المساء مع بول في
حجرة الأستقبال في جناحهما , وعندما
تمنى لها نوما هنيئا أنحنى برأسه الداكن ,
وطبع قبلة على وجنتها , وفي الحال
أستدار مبتعدا وهو يبدو فاترا , ألا أنها

لم تستطع أن تتجاهل الرجفة التي
أكتسحتها.

وتسللت أشعة شمس اليونان الذهبية من
خلال نوافذ غرفتها صباح اليوم التالي ،
وأيقظتها من نومها .

،
وتناولوا أفطارا مكونا من عصير الفواكه ،
والكريمة والعسل وفتائر السمسم ، بعد

ذلك أكلا التين العنبري اللون , وشربا
القهوة اليونانية , وهمست دومني :
" أنها لذيذة".

وأستقرت عيناها في سرور على أزهار
الليمون وسط أوراقها اللامعة التي
كانت تحيط بسور الشرفة .
وقال لها بول محذرا:

" لا تشربي رواسب القهوة".

تلاعبت بالفنجان الصغير وهي تفكر
بأن مرارة الرواسب شأن أشياء أخرى
كثيرة تبدو حلوة ثم تترك مرارة في
نهايتها.

وسأل بول وهو يعتدل في مقعده ويشعل
سيكارة:

" ماذا سنفعل هذا الصباح؟ ".
لم تستطع أن تتجنب النظر إليه, كان
شعره بريق أخاذ تحت أشعة الشمس ,

وكان يرتدي قميصا قصير الأكمام ,
وينطلقنا ضيقا , وحلقات الدخان
تتصاعد أمام عينيه الذهبيتين , فتضيقان
وتشع نظرة نمر مفترس.

وقالت دومي :

" جولة لمشاهدة الآثار ستكون شيئا
لطيفا".

" أذن سأخذك الى بلاكا المنطقة القديمة
في أثينا".

وأنفجرت شفتاه عن أبتسامة كشفت

بياض أسنانه, وأستطرد يقول:

" ألبسي صندلا لأن الطرق الحجرية

قديمة ومتآكلة , وبعد أن تلقي نظرة

على المحلات التجارية , ربما تريدين

مشاهدة الأكروليس".

" بكل تأكيد".

ولمحت قلادة يونانية تلمع خلال فتحة

قميصه ذكرتها هذه القلادة الملتصقة

بصدره بما كانت تحاول جاهدة أن تنساه
، أحساسها بها في الظلام ... تلك
الليلة الأولى....

ونفضت مسرعة ، وقالت:

" يجب أن أذهب لأمشط شعري ،

وأضع أحمر الشفاه".

وأستدارت وذهبت الى غرفتها ، وتجنبت

النظر في عينيها في المرآة ، وأرتجفت

يدها وهي تضع أحمر الشفاه ، وكان

عليها أن تمسحه وتعيد طلاء شفتيها
باللون الوردي.

وحدقت دومي في فمها ذي الشفة
العليا الرقيقة الحساسة والشفة السفلى
السخية المتلئة , وأحست أنه تمزق
عندما أستسلم بصمت لفمه الذي قال
لها بفتور:

" أحتفظي بحبك هل طلبته منك
مرة؟".

وأشاحت بوجهها بسرعة , ووضعت
الصندل في قدميها , ثم أخذت حقيبة
يدها , وألقت نظرة أخيرة على صورتها
, كانت رقيقة ورشيقة , ولم تتزين إلا
بخاتمين , الدبلة الذهبية البسيطة ,
والخاتم الفيروزي الذي كانت زرقته
تضاهي زرقة عينيها.

دومني ستيفانوس , أبتسمت للفكرة
وأن أرتجفت لغرابة الأسم , دومني دان
ذهبت الى الأبد , تاركة فقط الكيان
والوجه اللذين دفعا رجلا الى طرق
ملتوية ليفوز بامتلاكهما... وأبتعدت
عن المرأة , ولحقت بزوجها لزيارة بلاكا
والأكروبوليس.

وكانت شوارع البلاكا مهملة وضيقة
, ومليئة بمحلات مفتحة الأبواب

كالسوق وبيوت ذات شرفات خشبية

....

وشعرت دومي بأصابع بول الدافئة على

مرفقها وهو يشير الى الثوم والفلفل

الأسود في واجهة محل بقالة , والأحذية

الشعبية القديمة خارج محل أحذية ,

سلال الفاكهة الجميلة , وكان هناك بائع

أسفنج يحمل مجموعة أشبه بالجالونات

الملونة , وبائع بطيخ يجر عربة خشبية

(كارو) , وأشترى بول شرائح من
البطيخ , وبعدها أكلت دومي قطعتها
تلاشى أحمر الشفا مع العصير , وبدأت
كمراهقة في أجازة وهي تحملق حولها في
الناس الذين أمتلأت بهم الشوارع
الصاخبة الزاهية .

،

وضحكت من فوق كتفها لبول وقالت:

" أنه مثل زقاق أعرفه في بلادنا , بائع
الأسفنج سيختفي إذا داهمته الرياح."
وأبتسم , وأقترب منها قليلا , وقال:
" هل أنت سعيدة؟".

وأومأت برأسها , ذلك أن البلاك كانت
ذات سحر لا يقاوم , وأمسك بول
بأصابعها المبللة بماء البطيخ , وصعدا معا
السلام غير المستوية , ومرا أمام المقاهي
القديمة حيث جلس الشيوخ أمام

أكواب القهوة التركية , يعضفون
الكلمات اليونانية , فيبدون كما لو
كانوا يتشاجرون.

ورأت دومي اليونانيات , ذوات
الأجسام الضخمة بصحبة بناهن
الرشيقات , ولاحظت أن شبانا عديدين
كانوا على الكثير من الوسامة بتشبههم
الأسود وكثيرون بالملابس العسكرية ,
وأخبرها بول أن الخدمة العسكرية

أجبارية , وعندما نظرت اليه لمحت ظلالة
تتحرك على صفحة وجهه , ثم نظر
جانبا الى أحد المحلات , ولم تستطع أن
ترى عينيه وكانت نظارته الشمسية في
جيب قميصه , لأنه لم يكن بحاجة اليها
في ذلك المكان حيث أختفت الشمس
وراء سطوح المنازل .

ووقف أمام واجهة محل صغير يعرض
بعض المصنوعات الوطنية , أحذية

مطرزة , وحقائب يد , وشرايط حريرية
من الخرز وكذلك من المشابك والأقراط
, وقال بول وهو ينحني فوق
المعروضات:

" دعيني أشتري لك تذكارا لزيارتك
بلاكا".

وخرج من المحل رجل معمم , ووقف
يرقب بول وهو ينتقي قرطا على شكل
قلب , وسأل الرجل عن الثمن , ودفعه

له , ثم جذب دومي , وعلق القلبين
الزرقاوين الصغيرين في أذنيها , وهتفت:
" القرط رائع يا بول , يجعلني أشعر كما
لو كنت من جوارى الحریم ."
ولكن بول لم يتسم , وأمسك بها فجأة
من خصرها , ورفع ذقنها بيده الأخرى
وبدا فمه في مثل عنف ذراعه , وحدث
بعينه الذهبيتين في عينيها , وقال في
صوت خافت , أجش :

" هل هذا ما تشعرين به؟ مثل جوارى
الحريم , اللواتي كن يشترين بالمجوهرات؟".
ونظرت اليه مغلوبة على أمرها , وقالت
مرتبكة:

" لم أقصد ذلك , كنت أمزح".

" اللاشعور أحيانا يدفعنا الى نطق

كلمات نعتقد أننا لم نكن نعيها".

ثم حرها من قبضته , وأكمل مسيرتهما

الى الأكرابوليس في صمت.... وشعرت

دومني بالرغبة في البكاء جوارى
الحریم! أنزلت الكلمات من فمها
لتفسد عليه بهجته بشراء هدية صغيرة
لها.

ووقفت دومني وهي تشعر بضآلتها
وسط الأعمدة الشاخنة تنظر أعلى
فأعلى وتستشعر تناسق هذه الأعمدة
وعظمتها وهي أشبه بالأصابع تشير نحو
السماء.

أخذها بول الى دهليز العذارى حيث
صوّب السياح آلات التصوير وأخذوا
يلمسون التماثيل التي بدت وكأنها
تتحرك- وأراها شجرة الزيتون القديمة
التي ما زالت موجودة , رمزا للأمل.
وتسمرت نظراتها عليه وهو واقف على
السلم الكبير وقد أغرقته الشمس
بأشعتها الذهبية , ولمحت من جديد على
وجهه ذلك التعبير , كما لو كانت

ذكرى متوحشة داهمته وهو يتأمل

عاصمة اليونان القديمة.

وكان بول يحمل معه آلة تصوير ,

فألتقط لها عدة صور وهي متكئة على

عمود أستر , وقال في أبتسامه ساخرة:

" ستتوقع كارا أن نحمل معنا مجموعة من

صور شهر العسل".

" أذن لا بد أن نأخذ صوراً معنا , لنسعد

كارا".

وبمساعدة أحد السياح الأمريكيين وقفوا
جنباً إلى جنب , وبدأ هو يستعد لألتقاط
عدة صور لهما , وقال الأميركي وهو
يداعبهما بلهجته المرحة:

" أعرف أنكم معشر اليونانيين تتحفظون
أمام الآخرين , ولكن وضع ذراعك
حول السيدة سيبدو لطيفاً".

ورمق بول دومني بنظرة متهكمة ثم
أحاط خصرها الدقيق بذراعه , وجذبها

الى جانبه , وكانت أبتسامتها أمام آلة
التصوير متوترة كجسمها , وشعرت
بأصابعه تغوص في خصرها وتؤلمها , ثم
أنتهى التصوير , وتركها متجها الى
السائح الأميركي الذي قال له:
" ستظهر صوت زوجتك رائعة , تماما مثل
واحدة من بنات الأغر يق".
وأبتسم بول للسائح شاكرا وهو يسترد
آلة التصوير , فرد الأميركي العفو

باليونانية وهو مغتبط بنفسه لأنه تمكن
من معرفة هذا القدر من النونانية .
ثم ألقى بول نظرة الى ساعة معصمه
وقال لزوجته:

" لا بد أنك جائعة , هل نأكل في أحد
المطاعم هنا؟ أم تفضلين أن نعود الى
الفندق؟".

وجزعت من فكرة العودة الى الفندق ,
ليس بعد ! المطعم قد يكون صاخبا ,
مكتظا بالغرباء الذين تستطيع أن تنسى
بينهم نفسها ساعة أخرى على الأقل ,
وقالت بسرعة:

" أحب أن آكل هنا في أحد المطاعم
طعاما يونانيا".

وهبطا السلم المغطى بالحشائش ,
وتنبهت الى أن الناس ينظرون اليهما ,

ينظرون الى اليوناني الطويل الوسيم ,
وعروسه الأنكليزية , تماما كما حدث في
كورنوال ذلك اليوم حين ذهبنا الى لوو
لأسترجاع الشيكات , ولكن في ذلك
اليوم شعرت دومني بفوران جميل يسري
في شرايينها , أما الآن , فالفوران ما زال
موجودا لكنه لم يعد جميلا
..... نهاية الفصل

الرابع.....

5- نافذة القلب

.....

كانا في طريقهما الى مطعم تقدم فيه
اللحوم المشوية الى جانب السمك ,
عندما نادى أحدهم بول , ووجدنا
نفسيهما محاطين بعدد من الأشخاص
المرحبين : زميلان من زملاء بول ,
بصحبة زوجتيهما ,

وكانتا سيدتين باهرتي الأناقة , ترتديان
الملابس الحريرية , وتضعان على رأسيهما
قبعتين بورود , وتمسكان بأصابع
مكسوة بالقفازات , حقيبتين غاليتين ,
تفحصتا بعيون سوداء ملابس دومي
العادية , ولاح أنهما صدمتا لأن زوجة
رجل أعمال هام تبدو في ملابس بسيطة
أشبه بملابس السائحات.

لكن الزوجين في الجانب الآخر , أبتسما
لدومني في سرور واضح, وألحا أن تنضم
هي وبول الى جماعتهم لتناول الغداء.

،

وأشار بول الى المطعم وراء صاحبة
مباشرة وسأله بالإنكليزي لأن دومني لم
تفهم اليونانية جيدا بعد:

" هل تنوي تناول الغداء هنا يا
كوستس؟".

وأجاب كوستس في الحال بأنكليزية
ذات لكنة , أن هذا المكان مشهور
بتقديم الأكلة اليونانية , وأنهم
سيتناولون فيه غداءهم , وأوماً الى
زوجته مؤكداً رغبته ذلك أنها كانت
تتمنى الذهاب الى مكان أكثر فخامة ,
والطعام فيه أجمل منظراً , مع أنه بلا
نكهة.

وقالت أنجيليكا لدومني وهما تتبعان
الرجال داخل المطعم :
" ايستغرق كوستس وقتا طويلا حتى
بات مرموقا , سنوات طويلة ارتديت
بصبر الملابس الرخيصة , والآن أذ
أصبحت أملك الملابس الأنيقة التي
يسعدني الظهور بها , يأخذني للطعام في
مكان شعبي متواضع , تفهمين طبعاً ,
اليوناني يحب أن يكون السيد".

وأبتسمت دومني , فهمت جيدا شيئا
واحدا فقط : أن بول يتوقع منها أن
تظهر أمام أصحابه العروس المشرقة ,
وكان من الصعب عليها أن تعترف
لنفسها أنها لا تجرؤ على معارضة رغباته
, وما هو كبرياؤها بالمقارنة؟
وتتبعته بعينيها , وكان المطعم مكانا
يمكن أن يأسر دومني في أي وقت آخر
, بصحبة ناس أقل فضولا وصخبًا ,

المقاعد حول المائدة المتواضعة من
الخيزران والجدران بيضاء تتدلى منها
آلات الموسيقى الفولكلورية الشبيهة
بالقرع العسلي , ومن كل الأرجاء
أرتفعت أصوات المناقشات باليونانية
وسط ضباب الشواء.

وأصطحب بول دومني لتختار لنفسها
الحساء والخضروات واللحم , وأختارت
السيدتان الأخريان عصافير مشوية ,

وفزعت دومني لذلك في سرها , ما
كانت لتأكل هذه الطيور الصغيرة لو أن
بول أمرها بذلك , وهو لم يفعل بطبيعة
الحال , ولحقت أبتسامة على شفثيه عندما
طلبت شرائح من اللحم المشوي ,
ورغبت أيضا ببعض البطاطس المحمرة ,
وفي الحال طلب بول أن تكون طازجة
, وعندما عادا الى المائدة , كان كوستس

يطلب شرابا يونانيا أبيض , وقال بول
لدومني:

"لن يعجبك هذا الشراب".

وطلب مشروبا آخر مع السمك المدخن

الذي قررا هو ودومني أن يتناولاه بدلا

من الحساء , وأنهمكت أنجلينا وميرها في

الطعام بشهية , وأبتسم كوستس وهو

يرفع كأسه لدومني عبر المائدة , وقال

كلمة باليونانية فهمتها في الحال ,

كانت تعني (كوبي سعيدة) وأبتسمت
لليوناني اللطيف وتمنت لو لم تنطق
عيناها بأن السعادة لم تعد أكثر من مجرد
كلمة بالنسبة اليها , ذكرى لحريتها في
الأستمتاع بحياتها في سلام في مدينتها
فردان , بحماية من عمها الطيب .

،

ثم خفق قلبها بعنف حينما سألتها
أنجليكا بصوت مرتفع سمعه كل الجالسين

حول المائدة عن عدد الأطفال الذين
تتمنى أن ترزق بهم , وحدثت دومي في
صحن ملوءا بالزيتون الأسود ذي اللمعة
البنفسجية , أطفال من بول!
وأختلست نحوه نظرة جانبية قبل أن
تواجه أنجليكا بأبتسامه , وتمت بأجابة
مبهمة , وتبادلت اليونيتان أبتسامات
المعرفة , أذ أعتقدتا أنها خجول لأنها

أنكليزية , وسرعان ما حولاً دفة
الحديث الى مسرحيات الموسم.
وقالت ميرها موجهة كلامها لدومني:
" يجب أن تقنعي بول بأن يأخذك الى
المسرح , وأحذرك لأن المقاعد من
حجارة , ولكنني آخذ معي دائماً وسادة
, في الموسم الفائت شاهدنا مسرحية
(أليكترا) وكانت رائعة".

وتنفست دومي الصعداء إذ أستطاعت
أن تتفرغ لطعامها وهي تصغي الى
وصف ميرها للمسرحية , وبينما كانت
تأكل البوظة اللذيذة , لاحظت
الأبتسامة التي تعلقت بطرف شفتي بول
وهو جالس يستمتع بأحتساء القهوة
التركية , وتدخين السيكارة الرفيع ,
لعبت دورها بما يرضيه , وأرتباكها بشأن
الأنجاب , فسر على أنه بسبب الحياء ,

وبدون شك أنه سر أيضا لتجاهلها
نظرات الأعجاب بشعرها الذهبي ولون
بشرتها الأبيض , من الرجال الجالسين
على مؤائد قريبة.

وعندما أنصرف بول ودومني للعودة الى
فندقهما , كانا يحملان معهما دعوة الى
بيت ميرها يوم الجمعة , وأخرى الى بيت
أنجليكا يوم السبت.

وقال لها بول وهو في المصعد المتجه الى
جناحهما في فندق هيلينيك:

" أحبوك! وقال لي كوستس أنه لم يرى
أبدا من قبل عينين كعينيك في مثل زرقة
بحر اليونان".

ورفعت دومي هاتين العينين الزرقاوين
الى وجه زوجها الأسمر , وردت بأدب
أنها هي أيضا أحبت أصدقاءه.

وفجأة أمسك بها من كتفيها , فجعلها
تحس بدفء يديه وعنفهما من خلال
قماش البلوزة , وقال :
" لا تحفظي معي , نادني بالقرصان
اليوناني , أصفعي وجهي , ولكن لا
تكوني دائما مؤدبة".

،
قالت بجفاء:

" سأتعلم , أمهلني يا بول , أمنحني الوقت".

قال معقبا:

" الوقت طريقة للهرب".

ووصلا الى باب جناحهما , وودفع
المفتاح في القفل بشيء من العنف ,
وخفق قلبها , أذ أدركت في تلك

اللحظة أنه لن يظل بعيدا عنها مدة
طويلة , كانت له رغبات الرجل القوي

العاطفي , وقد تعلمت أنه يمكن أن
يكون بلا رحمة.

وفي اليوم التالي بدا جناحهما أشبه بمحل
أزهار عندما أنتشر خبر وجود بول
ستيفانوس في أثينا , وأنه جاء بعروس
أنكليزية , فأستمر وصول سلال الأزهار
, وعلب الفواكه والحلوى , وأيضا هدايا
العرس للسيدة ستيفانوس الشابة , ولم
تكن دومي سوي أنسانة , لذلك لم

تستطع أن تقاوم حب الأزهار , وتذوق
الحلوى والفسق والعنب الذهبي ولكنها
دهشت للهدايا الأخرى من زجاجات
الشراب , والملاعق الصغيرة الفضية ,
والأطباق المزخرفة , وشرح لها بول
تقاليد اليونانيين في الترحيب بضيوفهم
بتقديم الحلوى أو المنعشات في هذه
الأواني.

وأبتسمت دومي وأستدارت في الحال
لتدفن وجهها في باقة من زهور البنفسج
وقالت:

" أحب البنفسج".

وصمت بول , وأتجه ناحية باب الشرفة
ليشعل سيكارا , وأختلست نظرة نحو
كتفيه العريضين , ورأسه الداكن ,
وأنبأها شعور خفي بأن أزهار البنفسج
مهداة منه , وأحست بضرورة شكره

لكن الكلمات لم تسعفها , كيف عرف
أنها أزهارها المفضلة؟ وهي لم تتحدث
معه أبدا عن مثل هذه الأشياء , وهو لم
يرها أبدا في غابات فردان منحنية فوق
حوض البنفسج في الربيع لعنه من
يدري...

وفي الليلة السابقة لرحيلهما الى
أنديلوس حضرا حفلة راقصة في يخت في
ميناء أثينا , كان المركب الكبير مزينا

بالأنوار الملونة , وكانت حلبة الرقص
على السطح , تحت النجوم وفرقة
موسيقية صغيرة تعزف الألحان.

أرتدت دومني ذلك المساء ثوبا من
الشفيفون اليوناني ذي الزرقة الباهتة
المبطن بالحرير , وعققت شعرها الى
أعلى وعلقت بالشينيون العسلي الناعم
أزهار البنفسج الرقيقة , وقبل أن تخرج
مع بول الى الحفلة , لف حول ذراعها

أسوارة فضية ذات مشبك من حجر
ثمين نادر لونه بنفسجي , وتحسست
الأسوارة بأصابعها , كانت أشبه بقيد
العبودية.

أما بول فقال:

" أزددت جمالا في اليونان , شمسننا
أدفأت بشرتك وجعلتها بلون العسل ,
أخبريني ألا أستحق قبلة على هديتي؟".

ورفعت وجهها أشبه بفتاة صغيرة مطيعة
، وضحك هو بنعومة وقال مازحا:
" أنك تخافين اليوناني عندما يقدم الهدايا
أليس كذلك؟ ترى ما الذي أخفيه؟".
ونظرت في عينيه النحاسيتين ، فالعينان
كما يقال نافذة القلب ، وكان كل ما
رأته أبتسامة غامضة ، وأنعكاس صورتها
في مقلتيه ، كانت له عينان نفاذتان ،
ومثل كل شيء آخر فيه ، كانتا جميلتين

ومتوحشتين , ولو لم يكن الزوج الذي
كانت تخافه , لكان حتما أن تعجب به
في سترة السهرة البيضاء التي أرتداها
فوق قميص حريري أبيض مع رباط عنق
داكن , هكذا فكرت دومني , وهما
يخرجان معا من جناحهما كأبي زوجين
سعيدين في طريقهما الى سهرة مرحة.
وكانت دومني تحب الرقص , تعلمته في
المدرسة الداخلية وكانت تخرج بصحبة

باري للرقص مرات عدة , طراً باري
على بالها حينما شعرت بضغط يد بول
وهما يرقصان في صمت على ظهر
اليخت الساحر , كانت تتبادل مع
باري طوال الوقت الهمسات
والضحكات , وهما يرقصان في نادي
الشاطيء , حيث كانا يلتقيان عندما
كانت تتسلل من المدرسة بعد الظلام

بمساعدة زميلة لها وكان ذلك سرهما
الساحر (الرومنطقي) منذ البداية.

٤

" أنك تجيدين الرقص لم تكن لدي فكرة
أنكم تقيمون حفلات كثيرة في فردان".
" لم تكن لدينا الأموال الكافية لذلك،
تعلمت الرقص في المدرسة الداخلية".

" ولكنك تبدين معتادة على مراقبة

رجل أكثر من مراقبة فتاة , وقد

لاحظت ذلك من قبل".

وكانت في لهجته رنة فضول , وخفق

قلبها خفقة لا يستطيع غيره أن يحركها

, كأنه تيار كهربائي يسري من كيانه الى

كيانها , وقالت:

" نسيت أن لي ابن عم , فعندما كان

دوغلاس يعود الى البيت , كنا كثيرا ما

نرقص في الصالة على أنغام الغرامفون
القديم".

" آه دوغلاس... أعتقد أنك كنت
تهتمين كثيرا بهذا الشاب".

وسكتت الموسيقى , ووضع أحدهم في
يدها كأسا من الشراب اليوناني , وخلال
الساعات التالية رقصت دومني مع
رجال آخرين , بينما أختفى بول , وقال
لها أميركي شاب:

" بعض اليونانيين يلعبون الورق في

أحدى الحجرات في الداخل , أنهم

يجبون لعب الورق".

ان ذهنها شاردا وهي تفكر في ابن عمها

, وتتابع أفكارها : هل حقا يعتقد

بول أنها تزوجته لأهتمامها بدوغلاس

بأكثر من مجرد علاقة القرابة؟ يا للغرابة

, ويا للحداقة المخيفة من جنبه لظنه أنها

لا بد أن تكون انهما رقصت كثيرا مع

رجل كانت تهتم به!

كانت تهتم به! هل يعني ذلك أن حب

باري لم يترك قلبها أبدا؟ يا له من حب

يأس وهي التي لم تكن لديها أية فكرة

عن مكانه , لكنها تعرف أنهما لو ألتقيا

من جديد , فلا بد وأن يكونا كغريبين

لأنها لم تعد دومني دان.

وضاقت دومي بالرقص ولحت سلما
ضيقا , سلكته لتجد نفسها فوق سطح
آخر لليخت , وقفت وحيدة أمام
السور , وداعبت نسمة شعرها ووجنتيها
,
وأنعكس ضوء القمر فوق سطح البحر
, وألقى ظلاله على ساريات المراكب
الأخرى الراسية , وقلوعها وأحست أن
في صوت هدير المياه حزنا له صدى في

أعماقها , ورفعت عينيها نحو النجوم ,
وتساءلت عن مستقبلها مع بول
وأرتجفت عندما لمحت نيزكا يفر من
الفضاء بينما أرتفع في هذه اللحظة
صوت عميق يقول:
" تبدين بعيدة مثل هذه النجوم يا
دومني".

أقبل بول في خطواته الصامتة , ووقف
وراءها ولم تلتفت دومي وأحست
بأنفاسه تداعب شعرها , بينما أستقرت
يداه في قوة ودفء على كتفيها ,
وظلت في مكانها بلا حراك قلبها فقط
ينبض وشفتها السفلى تهتز في عصبية.
وهمس بول:

" أنك تحبين الأستمتاع بالوحدة بين
الحين والآخر , أليس كذلك؟".

وأومأت برأسها , فعاد يقول بصوت

هادىء:

" ستحبين الجزيرة يا دومني , أنها مكان

لمن يعشقون الحرية والطبيعة البكر ,

أصغي الى البحر , أنه يرغم بأغنية

عذبة".

سألته:

" هل تسمع البحر من بيتك؟".

" من بيتنا يا دومني".

ورفع يديه عنها , وأستند على سور
السطح وعندما نظرت اليه كانت عيناه
تبرقان وتتحركان كعيني قطة في الليل ,
وكان شعره مجعدا , كان يشرب ويلعب
الورق , وأحست بتقلص عصبي في
حلقها لما لمحتة فيه من الأستهتار , وقال
بسخرية:

" لماذا تخافين مني يا صغيرتي الى هذا
الحد؟".

أجابته:

" أليس من الطبيعي أن نخاف ما لا

نفهم؟".

وأفتر ثغره عن أبتسامة وهو يقول:

" صحيح أننا معشر اليونانيين لا يسهل

فهمنا أبدا , أغلب ما نحس به غامض ,

لكنه في أي حال أما النار في البركان أو

الجليد تحت البحر , ولكن الشيء نفسه

يمكن أن يقال عن الأنكليز , أنت يا

دومني وأنت واقفة هنا هل تعتقدين أنني
لا أجذك لغزا؟ دومني الفتاة ذات الأسم
النادر الجميل الذي يناسب شخصيتها ,
دومني..... التي ستحصل على أنتقامها
عندما أبرهن أنني شيطان أذ آخذ ما لن
تعطيني أياه! ".

ورفع رأسه الى الورااء , وضحك في وجه
القمر , وهمت بأن تبتعد عنه , ولكنه
بسرعة ودهاء مثل النمر , قيد

معصمها بيد واحدة , ورفع وجهها
باليد الأخرى , وقال وعيناه تشعان
بريقا ذهبيا:

" يا عاصفتي الصغيرة , أجل , سأحصل
على ما أريد".

وهرولت بعيدا عنه , وهبطت السلم
لتعود وسط الساهرين.

جلسا في العربة التي أقلتتهما الى الفندق
متباعدين , لم تنظر اليه في المصعد

, وهي واقفة برود في ثوبها اليوناني ,
وقد تجمدت عيناها كحجر الفيروز في
يدها اليسرى , تبادلًا في غرفة
الأستقبال تحية المساء , ثم دخلت
دومني غرفتها , وأغلقت الباب بصوت
مسموع , وهمت بأن تغلقه بالمفتاح ,
لكنها تراجعته , فأغلق الباب سيكون
أعلانًا صريحا عن الخوف الذي في قلبها

, وهي لا تريد أن تمنح بول هذه
السعادة.

،

كان ذهن دومني مشغولا , فأستسلمت
لنوم قلق مليء بالأحلام المضطربة غير
أنها لم تستطع أن تتبين ما دارت حوله
أحلامها , ونهضت فجأة لتجد وجهها
غارقا في الدموع , وجلست في سريرها
تتحسس الدموع , حينئذ لمحت من

خلال نوافذ غرفة نومها ألسنة لهب
أحمر ترتفع وتسارعت خفقات قلبها
,ورفعت الأغطية عنها , وهرولت لترى
مصدر هذا اللهب.

وفتحت باب الشرفة , ووقفت في
الخارج بقميص نومها , تحديق في اتجاه
مصدر اللهب , كانت منبعثة من الميناء
,وسمعت أصوات عربات الأطفاء ,

لكنها لم تنتبه الى صوت بابها وهو يفتح
ليأتي بول ويلحق بها الى الشرفة.
وسألته في قلق:

" هل يمكن أن تكون النار مشتعلة في
يخت (الساحرة الفضية)؟ يا للخسارة
إذا كانت هي , أنه مركب جميل! أرجو
أن يكون أصحابك قد خرجوا بأمان".

وأقرب من سور الشرفة , وأطال النظر
ناحية الميناء , كما لو كان يقدر مكان
وجود يخت أصحابه بالضبط , وصاح:
" كلا , أنها ليست (الساحرة الفضية)
فهي راسية في مكان أبعد , اللهب
شديد جدا و فالأغلب أن تكون سفينة
شحن".

كانت ألسنة اللهب تلقي ظلالها الحمراء
عليهما , وبدا وهو مقبل على دومي في

بيجامته السوداء الحريرية , بقامته
الطويلة أشبه بالشيطان وتمتم شيئاً
باليونانية , حينما كانت هي تتراجع في
أتجاه غرفتها و ألقّت صرخة صغيرة
عندما تبعها , وأغلق باب الشرفة
وقالت وهي كارهة لرجفة صوتها:
" أنا... أنا سعيدة لأن النار ليست في ()
الساحرة الفضية)".

ولم يرد , وأرغمت نفسها على أن تنظر
اليه , واقفا يتأملها في قميص نومها ,
فجعلتها نظراته تحس كما لو كانت
عارية , وقال :

" أهتمني ذات مرة أنني أشتريتك يا
دومني , هل تعتقدين ذلك حقا؟".
" هل تعتقد يا بول أن هذا هو الوقت
لتجمع الفوائد عن تمزيقك تلك
الشيكات؟".

فألتقط أنفاسه , ثم تحرك خطوة مقتربا

وأطلق ضحكة متوحشة وقال:

" نعم يا عزيزتي , الوقت حان لأن تكفي

عن لعب دور الزهرة المنكمشة , ضقت

ذراعا بذلك , خاصة وأنا أعلم أن

لجمالك البارد وكبريائك وجهها آخر".

صاحت برغم الذعر المستبد بها:

" تريد أن تذلل كبريائي , أليس صحيحا

يا بول؟".

وتسمرت في مكانها , وبحركة سعيدة
خاطفة ماكرة , أخذها بين ذراعيه
وقاومت بعنف لتتخلص منه وأنطلقت
تردد:

" دعني يا بول ."

ووصلت أصابعها الى مكان الندبة والى
شعره المجعد... وعادت تقول:
"أنا , أنا سأكرهك".

قال ونظرة تملك في عينيه:

" ألم تكرهيني منذ البداية يا عاصفتي

الصغيرة؟".

وحملها بين ذراعيه وأغلق الباب خلفهما

, كانت كتفاه العريضتان أشبه بجناحين

يحتويانها وهو يضعها فوق السرير.

وأستيقظت دومي قبيل الفجر وبحرص

شديد أنسحبت وفزعت عندما تتمم

شيئا في نومه , وأهتز قليلا , لكنه عاد

فأستغرق في النوم , وأبتعدت دومي
كما لو كانت تهرب من نمر.
وعندما وصلت الى غرفتها وضعت
أزارها فوق كتفيها , وجلست بجانب
النافذة , تراقب أصابع الفجر الوردية ,
كان المنظر رائعا لكنها شاهدته بحسرة.

.....نهاية الفصل

الخامس.....

6- البيت وقمة الصخرة

.....

لم تنس دومني أبدا لحظة وقع بصرها
على أنديلوس, التي كانا في طريقهما
اليها في مركب بول , مع بحار شاب من
سكان الجزيرة يمسك بدفة القيادة ,
وآخر يقوم على خدمتهما .

ظهرت الجزيرة فجأة وسط البحر الأيوني
الأزرق , واضحة تماما وسط أضواء بلاد
اليونان الصاخبة , وأمسكت دومني

السور بيديها حيث وقفت , كانت
أنديلوس محتلة في الماضي من الإيطاليون
والرومان.

وكان اليونانيان يتحركان بسرعة لتنفيذ
أوامر بول , ولا شك أن كل سكان
الجزيرة يحترمونه , بل ويحبونه لأنه بنى لهم
مستشفى , ومدرسة لأبنائهم فيها حمام
سباحة وملعب ومكتبة , ولم يكن بول

هو الذي أخبرها بذلك لكن أنجليكا
وميرها كانتا مصدر هذه المعلومات.
ووقف بول بجانبها متكئا على السور ,
قميصه الأبيض مفتوح , ونظارة الشمس
تخفي عينيه , وشعره الأسود ازدادت
تجعداته بتأثير هواء البحر , لكن دومني
كانت تشعر بهزة في أعصابها فما تزال
تحت تأثير ما حدث منذ ثلاث ليال ,
فأثناء تلك الأيام في البحر , أحتاجت

لكل شجاعته لتعامل معه بصورة
طبيعية.

وقال بول:

"أنا نقرب من الجزيرة , هل أنت
مشتاقة لرؤية بيتك الجديد؟".

كان يعرف جيدا ما في قلبها , أنه

الشوق للحرية شوق طيور البحر وهي
تنطلق مع الرياح.

وأجابت:

" أتخيل بيتك فوق قمة (صخرة النسر)

بيتا ذا شأن , هل عاشت فيه أسرتك

منذ سنين عديدة؟".

ونفت بول دخان سيكاره وقال:

" بناه جدي , هو وأخوه لوكاس مؤسساً

شركة خطوط ستيفانوس للملاحة ,

وأثناء حركة التمرد تعرض العمل لهزات

خطيرة , شأن كل شيء في اليونان ,

لكننا بمرور الوقت تغلبنا على العقبات ,
وسارت الأمور على ما يرام".

وظل صامتا دقيقة أو أكثر , وبطرف
عينها لمحتة يتطلع نحو الجزيرة المقتربة
عابسا , ثم أستطرد:

" البيت الذي سأخذك اليه , ليست له
جذور عميقة في الماضي مثل فردان
, ولكن يمكنك أن تقولي عنه أنه الرمز
الشامخ للأنتصار على الطبيعة الوعرة ,

أن أراض اليونان غالبا ما تكون قاحلة ,
والحياة صعبة بالنسبة للكثيرين من أبناء
وطني".

قالت لمجرد الثرثرة:

" ولكن عشيرة ستيفانوس حققت
النصر".

وأحست بنظرته الفولاذية وهو يقول:
" حققناه بالعمل الجاد , لم يحدث أن
تورط أحدنا في السرقة".

وبنغمة ذات مغزى قالت وهي تشعر
بشيء من الزهو لقدرتها على أن تلقي
سهامها مثله:

" لا أحد أبدا يا بول؟".

وتأملت أمواج المحيط المتلاطمة بلا نهاية
, تحت أشعة الشمس الذهبية كأنها الألم
والفرح ترتفع ثم تهوي لتبدأ من جديد.
وهمس زوجها بجانبها:

" البحر يحوي كل شيء , الحياة نفسها
 , تجمع الصخب والحيوية والسلام".
قالت معقبة:

" البحر قاس , أنه يأخذ مثلما يعطي".
وألقى ببقايا السيكار في البحر وقال :
" القسوة موجودة في كل شيء , حتى
في الفرح , وعلينا أن نتقبل ذلك".
وعاد يقول:

" أعرف أنه من العسير عليك يا أسيرتي
الحاملة أن تواجهي حقيقة أن الساعات
التي أمضيتها معي تلك الليلة لم تكن
بغیضة تماما".

حاولت التخلص منه وهي تقول:
" دعنا لا نتكلم في هذا الأمر".

لكنه تمسك بأسرها وقال وهو يهزها:
" أنا ألع في سماع ردك".

ورفعت رأسها وواجهته بعينين تشعان

بريقا أزرق وقالت:

" هذه الساعات , كانت كما أردتها

أنت , أجل يا بول , ولكن قلبي ملكي".

قال وعيناه في عينيها:

" لعلك تعتقدين أن زواجنا علاقة

مستبدة , حسنا , دعيني أخبرك يا

دومني أنك إذا عشت مع رجل تحبينه ,

فستكتشفين أن هناك وقتا للصراع ,

ووقتاً للتقارب ووقتاً للتباعد , الحب
والكراهية ليسا غريبين أحدهما عن
الآخر , أن البسالة وكبح الجماح لا
وجود لهما إلا في الكتب الخيالية".

قالت:

"أنا أتوقع البسالة يا بول , أنه خيال
المراهقة بعينها , لقد لقيت منك كل ما
توقعت عندما أقسمت على طاعتك".

قال بلهجة تحذير:

" وتذكري أن الشرف كان ضمن ما
أقسمت عليه".

قالت والرياح تداعب خصلات شعرها
, وقد أمتلأت عيناها بزرقة سماء اليونان
ومحيطها:

" من المؤسف أنك أنت لم تتذكر ذلك
يا بول".

وأهتز ركن فم بول بعصبية وهو يحدق
فيها , وتحركت عيناها فوق بلوزتها

المطرزة المستورد من جزيرة كريت والتي
كانت الرياح تداعبها وكان شعرها
المتطاير يحيط بوجهها , ويضفي على
وجنتها ضياء ورديا .

وقال بول بتهكم:

" أهل أنديلوس سيظنون أنني أسعد
رجل على الأرض".

قالت بسرعة:

" أتمنى لو كنت امرأة عادية".

وأطلق ضحكة عميقة وقال:
" تتمنين ذلك حقا؟ سواء عادية أو
جميلة كنت ستظلين دومي".

وكانت تسمعه , ولكن أهتمامها كله
كان مركزا على الحركة التي لاحظتها
بجانب المركب , وقالت مشيرة نحو حركة
المياه:

" هل يوجد سمك القرش في مياه

اليونان؟".

وأخني ليتابع الحركات التي كانت تموج ثم

تدور وتقفز وذراعه ملتف حول

خصرها:

" أنه درفيل".

للمرة الأولى ترى درفيلا , أهبجها ذلك

, وأستدارت وأبتسمت لبول في أشراق.

قال بول:

" أسماك الدرفيل تأتي الى ساحلنا
وستنعمين بمتعة مراقبتها أثناء أقامتك في
البيت القائم على ربوة النسر".
وضحكت لمنظر تحركات الدرفيل في
البحر , ثم سألت:
" ألن نقيم باستمرار هناك؟".
" ليس دائما".
" أعتقد أن الأعمال تحتم عليك
السفر".

" أجل , سأقوم برحلة بعد شهر
قليلة".

وكان أهتمامها كله موجهها الى الدرفيل
لكن شيئاً ما في لهجته جعلها تنظر اليه
, ولم يكن من المستطاع قراءة عينيه ,
لأنهما كانتا خلف نظارة الشمس لكنها
تساءلت إذا كان يعتبرها مجرد نزوة, وفي
الوقت المناسب سيتركها تذهب
وأحست بشيء ما يغوص في قلبها ,

هل هي ملكه فقط طالما أن ذلك يروق
له , تماما كما كان يمسك بها في تلك
اللحظة بذراع قوية وأصابع صلبة تقيد
معصمها , وأجتاز مركبهما ميناء
أنديلوس ,

لأنهما كانا متجهين الى المرفأ الخاص
داخل ممتلكات بول لكن دومي
أستطاعت أن ترى في الميناء مراكب

الصيـد الملونة والمنازل البيضاء ووصل

الى مسامعها صوت صياد يغني ,

وظل صوته يلاحقهما حتى أبتعدا....

وفي أهتمام سألت:

" ماذا تعني كلمات هذه الأغنية؟".

ورد بول ورنه سرور في صوته:

" أنه يغني لحبيته التي يتمنى أن يتزوجها

عندما تستقر أخواته ليست أغنية

عاطفية على النحو الذي توقعته , أليس

كذلك؟ ولكن هذا هو التقليد في
اليونان , إذا كان الأبن هو العائل
الأساسي للأسرة فيجب أن يساعدها
حتى تتزوج أخواته".

وهمست دومني :

"كم هو صعب على الشاب المسكين ,
لا غرابة أن صوته يبدو حزينا".

قال بول بجفاء:

" آه , لكن فتاته تحبه , وهو يعرف أنها
ستنتظره , وأن قلبها سيختزن الحب ".
وأهتزت دومي لجمال الكلمات , لكن
هل يزيد دائما الأنتظار حلاوة الحب ؟
أن هذه الفكرة تعبر بكل تأكيد عن
العاطفية , ومع ذلك زعم بول أنه لا
يؤمن في الحب !

وكان المرفأ محاطا بصخور قائمة , والمياه
الزرقاء تنساب اليه في رقة وتكسر عند

القناة الضيقة , وفكرت دومي في الجو
العاصف , وكيف أنه لا بد أن تبدو
المياه وكأنها تغلي بين الصخور في هذا
الممر الضيق فتصعب الملاحة.
ومن الشاطئ , رأيت أبراج الصخور
ترتفع نحو السماء والطيور تبني
أعشاشها فيها وتطير بينها وأعشاب
البحر المزهوة تكسوها.

ورسو بجانب صخرة كبيرة , ولاحظت
دومني أن الشاطئء يتكون من مجموعة
صخور , تفصلها المياه , والحشائش
تتلوى فوق الرمال الشاحبة كالثعابين ,
وتعلو بجانبها بعض الشجيرات الصغيرة
التي تحميها من الشمس المحرقة.
ووقفت دومني تتلفت حولها , وتتساءل
عن كيفية الوصول الى البيت من
الشاطئء ولم تلبث أن أكتشفت الطريقة

, فقد أقبل أحدهم يحمل بطارية
كهربائية كبيرة , ناولها لبول وهو يتسم
, وتكلم معه بول باليونانية , مشيراً الى
المركب , ومعطياً أوامره بالنسبة للحقائب
, ثم قاد دومني عبر فتحة كهف واسع.
وقال لدومني:

" منذ زمن بعيد كان هنا مخبأً للمهربين ,
أنه يوصل مباشرة الى البيت , وهو آمن
تماماً , أن حركة المد والجزر بطيئة هنا ,

ولا تشتد إلا عندما يكون الطقس سيئا
، ومن الحكمة حينئذ الأبتعاد عن
الشاطيء".

،

وضحكت دومي قائلة:
" يا لها من طريقة مبتكرة لوصول عروس
الى بيتها ، لكنها تناسب شخصية
القرصان فيك".

وتردد صدى كلامها في الكهف ,
ونظرت دومني اليه وهما يعبران الممر
الصخري , رجل غريب , متقلب ,
يضحك مثل صبي صغير .

وقال :

" الأرض ترتفع و هل تحسین بها؟
سنصل حالا الى باب يفتح على السلم
الذي يقود الى الحديقة , هذا الممر
السري يعجبك أليس كذلك؟".

ورافقته بأبتسامة قائلة:

" أجل , تعرف أنني خيالية".

قال بأعتداد وبلهجته الخاصة:

" هذا شأن الأنكليز".

وبعد دقائق أضاءت البطارية بابا خشبيا

, يفتح على سلم حجري , وقال بول

محدرا:

" من فضلك , كون حذرة , السلام

متآكلة بفعل السنين , والآن أحترسي".

وأمسك بها عندما أوشكت أن تفقد
توازنها , ولمدة لحظة , في الضوء الخافت
, ألصقت به وأحتبست أنفاسها
وأعتقدت أنه سيعانقها , لكنه أخلى
سبيلها , وتابعت صعود السلم , محاولة
ألا تبدو متعجلة , وتبعها في صمت
حتى وصلا الى الخارج , حيث يوجد ممر
يخترق حديقة تعلوها شرفات فسيحة
, وكانت أشجار السرو تملأ المكان

بألوانها الخضراء والذهبية , وأشجار
الفلفل مليئة بالعصافير المغردة , وقال
بول وهو ينحني ليجمع باقة من الياسمين
ذي الرائحة العطرة ويضعها في شعر
دومني :

" في الجانب الآخر من البيت غابة
صنوبر".

وتدلى الياسمين من شعر دومي وأحاط
بوجهها , وملاً برائحته أنفها , لكن ما
معنى أن يتوجهها بورود الحب في تلك
الحديقة التي بدت معلقة فوق البحر ,
كأنه يريد أن يقول لها بدون كلمات ,
أنها في تلك الليلة ستكون لأول مرة
وحدها معه في بيته.

كان البيت فوق قمة الصخرة , معزولا
عن العالم , وكان يبدو غامضا في عيني

الفتاة التي جاءت اليه عروسا , كانت
جدرانه ذهبية , مع وجود سلام تقود
الى شرفة واسعة رصت حولها المقاعد
والأرائك والموائد ,

وعدد هائل من الأواني تنبت فيها أنواع
مختلفة من النباتات , ومن فوق السور لم
تر دومي سوى هوة سحيقة عميقة يليها
البحر والصخور , وتراجعت لاهثة

بعض الشيء , ثم أستدارت لتواجه بول
وهو يقول وقد مد يده السمراء اليها:
" تعالي.... دعيني أريك البيت".
وذهبت معه , وما زالت متوترة من
منظر الهوة , ودخلت البيت ويدها في
يده من خلال باب زجاج , وقال وهو
يشير في اتجاه الغرفة الكبيرة بمقاعدها
الوثيرة , ومراياها الأثرية القديمة قال:
" هذه هي غرفة الأستقبال".

ثم أستدار ناحية المدفأة الحجرية وسألها:
" هل أعجبتك؟ الليل هنا بارد
والأنكليز يحبون النار في المدفأة أليس
كذلك؟

ورمته بنظرة طويلة , فجأة بدا لها أكثر
غرابة من أي وقت مضى وأومأت
برأسها بسرعة ردا على سؤاله , ثم
أدارت بصرها بعيدا عنه , الى الجانب
الآخر , حيث رأت سلما خشبيا نصف

دائري يقود الى منصة يرتكز فوقها بيانو
، كان سواده لامعا ، وكان يبدو رائعا ،
ورقت نظرات دومني ، كان البيانو من
وسائلها الترفيحية المفضلة ، ورغم أنها لم
تدرس العزف ، إلا أنها كانت ذات أذن
موسيقية ، وكان عمها يحب أن تعزف له
على البيانو القديم في فردان .

وهمس بول:

" هل أعجبك يا دومني؟ " .

وأومأت بالأيجاب , ورغبت في الجلوس
أمامه , وأن ترفع عنه الغطاء اللامع
الذي يحجب عالما كانت تستطيع دائما
أن تنسى فيه نفسها .

وقال بول:

" أنه لك "

وأستدارت تنظر اليه بعينين مرتابتين

وهي تقول:

" لي أنا؟ "

أبتسم قائلاً:

" جيء به من أثينا منذ ثلاثة أسابيع ,

أما هذه المنصة فكانت لأستعمال جدي

الخاص , حيث كان يوجد مكتبه المهيب

, وفي الواقع فإن هذه الغرفة كانت

مكتبا , وهذه القطع من الأثاث جمعتها

من أركان غريبة في البيت وأمرت

بتنظيفها ونظفت حتى أستعادت لمعانها ,

وهذه الأبسطة من جلود الدببة كانت

في غرفة المختلفات أيام زوجة أبي...
آه ... ولكنك لا تهتمين بهذا كله!".
ولمست معصمه بجياء , حيث الشعر
الذي يحيط بالساعة , وقالت:
" بالعكس يا بول , هذه الغرفة رائعة ,
ولكن أخبرني , ما هذه الكلمات
المحفورة على حجر المدفأة؟".

وسار نحو المدفأة , وتبعته , ولا حظته وهو
يمر على الحروف اليونانية بأصبعه قائلاً
بصوت خافت خال من التعبير :
" هذه الكلمات تقول : تحذوا قوى
الظلام مثل أبوللو " .

همست وهي تفكر في عجز بول عن
مواجهة الضوء القوي , أو أشعة شمس
اليونان التي يجبها :

" أبوللو كان رمز الضوء " .

وتذكرت أنهما أستمتعا مرات عديدة
بحمامات الشمس على شاطئ يبعد
عدة أميال عن أثينا , حيث يدفن وجهه
في الرمال , ويترك بقية جسده للشمس
التي توجه الطعنات لعينه ما لم يحمها
خلف النظاراتين , وأحست دومني أن
لذلك علاقة بالضوء الذي تعرض له ,
والذي نتجت عنه تلك الندبة المخيفة
فوق عينه اليمنى , وسألته:

" متى سأرى أختك غير الشقيقة؟ " .

وكانت قد فهمت من أحاديثه أنه يحب

هذه الأخت كثيرا , لكنه لم يكن على

وفاق مع أمها , وكانت أمه قد ماتت

وهو في الرابعة من عمره , وأخوه ما زال

طفلا , وتزوج والده بعد ذلك بسنوات

, وكانت كارا ثمرة هذا الزواج غير

السعيد , وقد مات والد بول فجأة أثر

أزمة قلبية , بينما كان يقود يخته في

البحر الأبوي , وكانت زوجته معه
فغرقت عندما فقد اليخت توازنه وهو
تحت قيادة رجل فارق الحياة.
وكانت كارا تعيش مع عمّة بول , لأن
مسؤوليات العمل كانت تبعده كثيرا عن
أنديلوس , وخطت دومي أن
تستضيف الفتاة خلال عطلات نهاية
الأسبوع , لقد أحست غريزيا بأنهما
ستكونان صديقتين.

وقال بول:

"سنذهب غدا لنرى كارا والعمة

صوفيولا , والآن لنكمل جولتنا في بيتك

الجديد يا سيدة ستيفانوس".

بيتها الجديد! كان مليئا بالممرات

والأبواب غير المتوقعة , والأثاث الداكن

, والأبسطة اليونانية المصنوعة يدويا

, وأخيرا الغرفة التي ستنام فيها , الغرفة

المجاورة مباشرة كانت غرفة بول, وقد

أستقرت حقائب كل منهما في حجرته ,
وذهب هو ليأخذ حقيبته الصغيرة
الخاصة وظهر من جديد قائلاً أنه
سيهبط الى الطابق السفلي ليعمل ساعة
أو ساعتين , ووقفت تحتبر بأصابعها
المشاغل الإيطالية الجميلة الموضوعة
على مائدة زينتها , ثم قالت :
" شكرا يا بول على البيانو".

وعكست لها المرآة صورته , كان طويلًا
فارعا , وكان رأسها بمحاذاة قلبه ,
وجذبها نحوه وهو يطوق خصرها ,
وهمس في طيات شعرها الناعم حيث
كانت باقة الياسمين ما زالت معلقة وقد
أنتشر شذاها :

" الآن يا دومني تبدأ حياتنا معا
بالفعل".

وألتقت نظراتهما في المرأة , ودب
الأضطراب القديم في أعماق دومي
عندما لمحت نظرة الرغبة في عينيه
النحاسيتين.

ثم دار في غرفتها وسألها:
" هل أعجبك مخدعك؟".

قالت وهي ترتعش:
" أنه جميل جدا".

وأغلق الباب خلفه , وببطء فارقتها
التوتر الذي كان يستبد بها كلما لمسها ,
ونزعت الياسمين من شعرها , وخبأته في
أحد أدراج مائدة الزينة , ثم تناولت
فرشاة شعرها , وكان شخص ما قد
أفرغ حقائبها , وأخذت تمشط
الخصلات لتخلصها من بقايا الياسمين ,
وسمعت طرقا على الباب , ودارت في
أرتباك , وهي عاجزة عن التفكير في

الكلمة اليونانية التي تعني (أدخل)
وأخيرا قالتها بالإنكليزية , ودخلت لنا
, تبسم بطريقتها الجادة , وتمنت أن
تعرف الذي ما زال غريبا عليها ,
وقالت:

" شكرا يا لنا".

" أنني تحت أمرك حتى تختاري وصيفة يا
سيدتي".

وعدلت لنا غطاء السرير المزدوج
ووضعت قميص نوم دومني في مكانه ,
وقالت دومني وهي ترفع شعرها :
"أوه.... لا أعتقد أنني بحاجة الى
وصيفة.... لقد أعتدت الاعتماد على
نفسي , ويبدو لي أمرا غير مستساغ أن
يعنى بي من رأسي الى قدمي".
وبدت لنا مذهولة بعض الشيء لكلام
سيدتها الشابة وقالت:

" عليك يا سيدتي أن تجدي في القرية
فتاة يعتمد عليها , وهي بدورها ستقدر
لك اختيارها لخدمتك , أن بناتنا ينشأن
على الطاعة والمساعدة , وسيدة في مثل
مركزك يجب أن تكون لها وصيفتها
الخاصة".

وأغرقت دومني في الضحك وقالت:
" حسنا جدا , حسنا جدا , ولكن إذا
كنت حريصة الى هذا الحد على أن

تكوني لي وصيفة , فتولي أنت مهمة
البحث عن واحدة , أنكم يا معشر
اليونانيين أكثر الناس تصميما وعنادا ,
أستم كذلك؟".

" نحن كذلك يا سيدتي".

وأبتسمت لينا من جديد وهي تنحني
لتلتقط وريقات الياسمين المتناثرة أمام
مائدة الزينة واحدة واحدة , وحملت
دومني في شعرها الأسود الناعم ,

وتساءلت عما إذا كانت ستعتاد يوما
طرق اليونانيين في الترتيب , فالحياة في
فردان كانت سهلة للغاية , وغير معقدة
, لم تكن هناك مشكلة خدمة , فقد
كانت دومي تقوم بمعظم العمل بمعاونة
عاملة تأتي يوميا , وسألت دومي :
" هل أستمتعت بأجازتك مع يانيس؟".
وردت لنا برقة:

" قمنا بمساعدة والده في عمله في
مزرعته الصغيرة , لقد كان عملا عن
حب , وهذه أجازة بحد ذاتها".
وظلت دومني تفكر في كلام لنا بعد
أنصرافها , كان حقا ما قالته أن
الأنسان لا يضيق بواجب أو بتضحية ,
إذا كان العطاء عن حب , وبحماسة
أخذت مظهر الشجاعة ,

نفدت دومني ما أقترحه بول , وذهبت
للتعرف الى بيتها الجديد , كان البيت
من الداخل غنيا بأخشاب السرو ,
وأخشاب الأرز , ولكن الزمن والأيدي
تركت بصماتها على كل شيء ,
فتآكلت أجزاء منها , ومن خلال
أحدى النوافذ ,

رأت بحرا من شجر الصنوبر وقد غطي
الغابة ضباب بنفسي وكان للصنوبر
رائحة نفاذة أمتلأ بها الجو.

،

وهبطت دومي السلم الى الصالة وهي
تشعر بوحدة غريبة في ذلك البيت
الكبير المنعزل عن العالم , الذي تحيط به
همسات المحيط والصنوبر , وفتحت
أبوابا كثيرة , ونظرت من خلالها الى

الغرف , لكنها كانت حريصة على
تجنب الغرفة التي كان يعمل فيها بول ,
وكان قد أراها أياها وهما في طريقهما الى
الطابق العلوي , وكان ذلك سببا
لأرتياح دومني إذ عرفت أنه سيقضي
جزءا من كل يوم في هذا المكتب.
وأثناء أنشغاله في عمله , بوسعها أن
تكون حرة , حرة في أن تكتشف الجزيرة
, وأن تسبح وكانت تعتقد أن ذلك

سيساعدها على مواجهة الأمسيات
والليالي , وجاء لها يانيس بالشاي
والحلوى وبعدها تحدثت معه لبضعة
دقائق ,

خرجت الى الشرفة الكبيرة لتشرب الشاي
ي , ومن ذلك المكان كان الأفق يبدو
أشبه بقوس قزح يلقى سهامها من
الذهب تحت وهج الشمس الغارة وكان
منظرا أنجست له أنفاس دومي ثم بدأ

الظلام يزحف , وعادت الى الداخل ,
وصعدت الى الطابق العلوي لتأخذ
حماما ولترتدي ملابس العشاء .
وكان العشاء يقدم متأخرا على اليونان ,
لذلك كان لدى دومي وقتا كافيا لأن
تستحم على مهل , وأن تسترخي في
الحوض الكبير الذي يكاد يتسع
للسباحة.

وكانت غارقة في بهجة حمامها , عندما

فوجئت ببول يهتف لها :

" لا تمضي ليلتك كلها في الحمام يا

عزيزتي".

فأجابته :

" سأكون معك بعد قليل!".

وعندما جلسا الى الطاولة بعد قليل

أشاحت عنه بوجهها , وتشاغلت

بمشاهدة الأزهار في الزهريات , وقالت

هامسة :

" أحب رائحة الأزهار والأخشاب هنا ,

هذه الغرفة كلها في الواقع جميلة ."

قال مازحا :

"نقطة الضعف فيّ يا دومي , أن لي عينا

يونانية في أكتشاف الجمال ."

سألت في صوت خافت:

" هل هذا هو عذرك الوحيد يا بول؟".

أجاب وقد فهم مرماها بسرعة:
" ليس تماما و, لدي سبب آخر ,
ولكنني لا أنوي أن أخبرك عنه في هذه
المرحلة ."

وأحست بقلبها يكاد يخترق صدرها وهو
ينطق بهذه الكلمات , ما الذي كان
يعنيه ؟ أنه أرادها زوجة لأنه أحبها؟

.....نهاية الفصل

السادس.....

7-وجه من الماضي

.....

" أيتها الطفلة , هل لك أن تهدأي؟".

توسلت بهذه الكلمات السيدة ذات

العينين الحزینتین , التي جلست على

مقعد من الخيزران , تشتغل الدانتيلًا ,

كانت ترتدي السواد , من الغطاء

الصغير فوق شعرها الرمادي , الى

أطراف الحذاء الضيق في قدميها , وكان

الراديو الصغير الموضوع فوق المنضدة
المجاورة لها يشير الى أن سنوات الحداد
الثلاث الأولى على زوجها قد مرت,
وأنها تستطيع الآن أن تتمتع ببعض
المباهج الخفيفة.

وقالت كارا ستيفانوس معترضة وهي
تقفز:

" ولكنهما يا عمتي صوفيولا سيصلان
في أية لحظة".

ثم تدلت من سور الشرفة الحديدي ,
وذلك كانت تستطيع أن ترى سيارتهما ,
وكان وجهها الذي لفحته الشمس
منفعل التعابير , وهزت العمة رأسها
عندما أنصرفت عما كانت تطرزه.
كانت على ذراعي كارا علامات حمراء ,
أحدثتها بأظافرها , وفكرت العمة في أن
بول يجب أن يعرض أخته على أخصائي
أعصاب , ومرت كارا بجانب مقعد

عمتها كالحصان الأسطوري (بيغاسوس)

ذي الجناحين , في اتجاه السلم وهي

تردد:

" ظهرا.... أنهما قادمان....".

وفتحت بسرعة بابا صغيرا يؤدي الى

الطريق , وألتمعت عيناها وهي تجري

نحو السيارة ذات اللون الكرمي التي

وقفت أمام البيت ... وصاحت

باليونانية:

" مرحبا بعودتك يا بول ."

وتأملته دومني وهو يرفع أخته النحيلة

بين ذراعيه , ثم وهما يتعانقان بفرح

غريب , وأحتضنت الفتاة وجهه بين

يديها السمرابين , وهي تردد اسمه ,

بينما أنهمرت دموعها , وقالت :

"أفتقدتك كثيرا , كيف حالك يا

أخي؟".

" أنا في أحسن حال أيتها الصغيرة".

ثم قل بعد أن أنزلها على قدميها:
"والآن يا سنجابتي ، تعالي قابلي زوجتي
، دومني".

وفتح باب السيارة ، وخرجت دومني
لتواجه لفحات الشمس الحارة ، كانت
ترتدي ثوبا سماوي اللون ، وبدون أكمام
، وكانت تبدو غاية في الرقة والجمال ،
حتى أن كارا لم تملك نفسها من التحديق
فيها.

وقال بول بالإنكليزية :

" قبلي أختك الجديدة يا كارا".

وتقدمت الفتاة في أرتباك من دومني ,

وقالت وقد أحتقن وجهها خجلا من

قبلة زوجة أخيها الناعمة على وجنتها

السمراء:

" مرحبا بك في أنديلوس , وفي أسرتنا يا

دومني".

ثم تراجعتم لتقف بجانب بول , وأطلق
ضحكة وهو يحيط خصرها الضئيل
بذراعه , وسأل:

" كيف حال الجميع يا كارا؟ هل العمه
صوفيولا بخير؟".

" أجل , ولكنها كانت قاسية جدا معي
تقول أن حالتي العصبية سيئة وأنها
ستطلب منك أن ترسلني الى أخصائي
أعصاب ".

صاح:

" يا له من كلام فارغ , ماذا فعلت ؟".

" أحيانا أحك جلدي".

وحكت جلدها بالفعل وهي تتكلم

, وتركت أحتقانها على ذراعها الأيسر ,

وعبس بول في وجهها , وضربها على

يدها , ثم أستدار وقال لدومني بجفاء:

" كارا ليست في الحقيقة قردة يا عزيزتي

, ولكنها تقلدها".

وأطلقت كارا ضحكة صغيرة تدل على
الخجل , ثم جذبت إحدى يدي أخيها ,
ورفعتها وقبلتها , وبحثت وجهه بعينيها
السوداوين السريعتين , وقالت

بسذاجة:

" أعتقد يا بول أنك سعيد لأنك

تزوجت".

وأجابها على ذلك بأن قرص أرنبه أنفها

مداعبا - وقال:

" ستجعلين دماء الخجل تتدفق الى وجه

دومني بملاحظاتك , أنها أنكليزية , يجب

أن تتذكري ذلك , ولم تتعود بعد على

طريقتنا في الكلام".

"ولكنني سعيدة للغاية لأنك تزوجت يا

بول".

ثم أستدارت وواجهت دومني بأبتسامتها
الساذجة قائلة:

"كنت قد بدأت أعتقد أنه لن يتزوج
أبدا , وليس في صالح الرجل أن ظل بلا
زوجة , وأنا سعيدة الى حد الرغبة في
الغناء , لأن أخي الوحيد العزيز أختار
لنفسه مثل هذه الزوجة الجميلة".

وتأثرت دومني تأثرا شديدا , كانت قبل
هذه الكلمات البريئة الصادقة الصادرة

عن الفتاة , تحس بالتواضع , وبدأت
تخشى أن تكتشف كارا , أن أخاها
وزوجته لا يجمعهما الحب كما اعتقدت
, وراقبت بول مع أخته الصغرى ,
ولمحت في عينيه بريق الرضى وثلاثتهم
يقربون من دخول البيت ,
وأقترحت كارا أن يقبل بول دومي عند
أول درجة في السلم , حتى تدخل بركة
حبهما الى البيت معهما وكانا قد جاءا

لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في هذا
البيت اليوناني القديم فوق ميناء
أنديلوس , بدعوة من عمته التي
أتصلت به تلفونيا , وألحت على ذلك ,
ووقفت العمة في الصلاة , ترحب بأبن
أخيها وعروسه بتقديم العنب المسكر
والماء المثلج كعادة اليونانيين وسألت
كارا بلهفة إذا كانت تستطيع أن ترشد

دومني الى غرفة نومها , فقالت العمّة
وهي تضع يدها على كم بول:
" أجل , أجل , أيتها الصغيرة القلقة ,
وتعال أنت يا ابن أخي , لتحدث معا
في الشرفة , عندي ما أريد قوله لك".
وقالت كارا مقطبة وهي تمسك بيد
دومني :

" أراهن أن بعض هذا الحديث عني".

وصعدا معا السلم الى الطابق العلوي ,
وعبرا قاعة كبيرة , وقالت كارا ضاحكة:
" يئست العمة صوفيولا في جعلي سيدة
مجتمع , لقد فصلوني من مدرستي في
أثينا منذ بضعة شهور".

ورمقتها دومي بنظرة جانبية وقالت:
" أوه... لماذا؟".

" لأنني عزفت على قيثارتي في مكان
عام , مع أنه شيء لطيف ولكن مديرة

المدرسة قالت أنها قحة وجموح
...وعندما جاء بول ليأخذني , حدثت
بيني وبين المديرية مشادة مخيفة , أن بول
يعرف أنني لا أقصد أن أكون متوحشة
, لست متوحشة حقا".

قالت دومني :

" أنت في مرحلة أنتقال....".

" بالضبط.... أنني نصف طفلة...

ونصف امرأة , ومتمردة على الأثنين ,

آه , لقد عرفت أنك ستقدرين
وستفهميني ."

،

وتلقت يد دومني ضغطة منها حين
أستمرت الفتاة تقول:

"رأيت ذلك في عينيك للوهلة الأولى ,
هذه غرفتك وغرفة بول".

وحينما فتحت كارا باب الغرفة المزدوجة
القديمة , شعرت دومني بغصة في حلقها

... كانت حقيبتها قد أحضرت مع
حقيبة بول , وكانت الوصيفة قد أفرغت
محتويات الحقيبتين , ووضعت قميص
نومها بجانب بيجامة زوجها.
وأقربت كارا من السرير الكبير وقفزت
جالسة فوقه وقالت:
" أجل , سيشعر كلاكما بالراحة في هذا
السرير".

ثم لمست قميص نوم دومني بأصابع
خجلة , وسألت:

" ألا تشعرين في نسيج العنكبوت هذا
بالبرد؟ آه , ولكن , كلا بالطبع".

وأطلقت ضحكة , وحدثت بمرح ساذج
في دومني وقالت:

" ربما يكون من الرائع أن تكوني امرأة ,
أم لا؟".

" هذا وضع له ضحكاته , وله أيضا
دموعه " .

وألقت دومي الى كارا رزمة صغيرة
أخرجتها من حقيبة يدها , فهمست
كارا:

" والآن , ما هذه؟ " .

وفي ابتسامة لطيفة طلبت منها دومي
أن تفتح الرزمة وأن ترى ما فيها
, وفعلت كارا ذلك بأصابع منفعلة ,

وحبست أنفاسها وهي ترفع غطاء العلبة
المربعة , وتكشف عن علبة بودرة رقيقة
, وأحمر شفاه , ونظرت كارا بوجهها
الأسمر في مرآة العلبة , وقالت
باليونانية:

" أتمنى لو كنت جميلة يا دومني لتناسبني
هديتك , شكرا كثيرا".

وداعبت كارا العلبة بأصابعها , ثم
عادت تقول:

" ما هو شعور المرأة عندما تكون جميلة
جميلة حقا , مثلك؟".

وتلاشت أبتسامه دومي وهي تنظر الى
أخت بول مصدومة , فالحقيقة مرة , لم
تكن تستطيع أن تجيب قائلة:

" لقد تعلمت أن الجمال فخ , أنني
أكرهه لأنه جعلني ملكا لأخيك , ولأنني
مجرد متاع له , فأني مدفوعة الى أيذائه
, لا أستطيع أن أكف عن أيذائه , لقد

أصبحت قاسية وضئيلة , لأن لي هذا
الوجه , وهذا الجسم ."

وقالت بجديّة :

" الجمال في الأعماق ."

" تعين أنك يمكن ألا تكوني جميلة في
أعماقك؟" .

وكانت نظرة كارا نفاذة , هي الصغيرة في
بعض تصرفاتها , كانت أكبر في البعض
الآخر , ووقفت دومي عند طرف

السريـر مشدودة خشية أن تكون كارا

شعرت بعدم حبها لبول.

وقالت كارا :

"كتب لي بول يقول أنك تشبهين لوحه)

ميديتشي (وأعتقد أنه لا بد أن

يكون مبالغا".

وسألت دومني متلعثمة :

" ما ماذا؟".

" لوحة (ميدشتي) , والآن أرى أنه لم
يكن مبالغا , أن لك الملامح الرومانية
النبيلة نفسها وأنا أتوقع أن يرغب (باري
سوتيرن) في رسمك , أن باري يعيش في
كوخ على الشاطئ وعمتي تدعوه
النصاب , ولكنه في أي حال موهوب
وهو أيضا أنكليزي , مثلك يا دومني".

وشحب وجه دومي , كان باري هنا...
هنا في اليونان , وكان يعيش في كوخ في
جزيرة أنديلوس ! وترنحت , وقفزت كارا
من السرير , وأقتربت بسرعة منها ,
ووضعت ذراعا حولها وهي تقول:
" ماذا بك؟ هل تشعرين بالغثيان؟".
وتماسكت دومي وقالت برجفة:

" من المحتمل أن يكون ذلك بسبب
الحرارة , أنا... أنا لم أعود بعد على
شمسكم".

ونظرت كارا الى وجه دومني الشاحب
بقلق وقالت:

" ستشعرين بتحسن عندما تشربين
فنجان شاي , هل أحضر الشاي هنا ,
أم تفضلين اللحاق بالآخرين في
الشرفة؟".

" دعينا نذهب الى الشرفة".

أحست دومني بالحاجة الى الهواء بعد
الصدمة لمعرفتها أن بول- دون الناس
أجمعين أحضرها الى المكان الموجود فيه
باري , لقد كان ذلك قدرا , فكرت في
ذلك وهي تتجه ناحية المرأة لتمشط
شعرها , وحملت في عينيها الواسعتين
, ورأت أنها خائفة , مثلما هي متلهفة
لرؤية باري.

كانت خائفة من بول , الذي ذكرها في
اليوم السابق فقط , أن الشرف ضمن
ما أقسمت عليه عندما أصبحت
زوجته.

وكانت تضع أحمر الشفاه الوردي على
شفتيها , عندما دخل بول الغرفة , ويده
في جيب البنطلون الخفيف الذي كان
يرتديه مع قميص سبور في لون الرمل
, وسأل:

" ألا تريدان أيتها الفتاتان أية منعشات؟

الشاي يقدم الآن في الشرفة".

وقالت دومني:

" أني أرتب ملابسني يا بول".

،

وتمنت ألا تخبره أخته بما أعتراها من

ضعف منذ لحظة ، وراقبته في المرأة

عندما أنحنى فوق كارا ، وأخذ وجهها

بين يديه ... وسأل مبتسما:

" لماذا هذا التعبير الشارد يا صغيرتي ؟
أعتقدت أنك سررت لرؤية أخيك ,
كنت غاية في السخاء بقبلاتك عندما
ألتقينا أمام باب البيت ."

ونظرت كارا اليه , ورفعت يدها الى
شعره , والى الندبة , وكلمته باليونانية ,
وتأكدت دومني التي بدأت تفهم قليلا
أن كارا تفكر شيئا عن أزمات الصداع
التي تتنابه , ولم تفهم أجابته , ولكن

نغمة صوته كانت رقيقة , وأضاف

بالإنكليزية:

" حسنا يا كارا , ماذا كان رأيك في

الهدية التي أرسلتها اليك من أئينا؟".

وأشرق وجه الفتاة , وكانت دومي قد

عرفت من بول أن أخته مولعة بالموسيقى

الشعبية , وكانت تجمع الأغاني القديمة

كما تجمع الفتيات الأخريات الدمى ,

وكانت تعزف على عدة آلات موسيقية

, وقد عثر بول في أحد محلات بلاكا
على آلة (ماندولين) جميلة , فأشترها
وأرسلها لكارا.

وقالت كارا بحماسة:

" أوتارها ذات رنين رائع , سأعزف

عليها لك ولدومني بعد العشاء".

وأبتسم بول قائلاً:

" سنتظر عزفك بلهفة , دومني نفسها
موسيقية , أنها تعزف على البيانو
ببراعة".

ولمعت عينا كارا كاماس الأسود وقالت:
" دومني تحب الموسيقى؟ أوه , الأقدار
معي اليوم , دومني لطيفة مثلما هي
جميلة , وهي أيضا تعزف على البيانو!".
وأحتضنت كارا أخاها وأستطردت قائلة:

" شكرا لك يا أخي الكبير على

الماندولين , وعلى دومني".

وقال بول وهو ينظر الى دومني :

" أنا سعيد لأعجابك المزدوج!".

وأستدار ناحية زوجته وقال:

" هل أنت مستعدة يا عزيزتي؟".

وأومأت , وأبتسمت لكارا , فقد

أدركت مدى تعلقها ببول , ومدى

أشراقها , وأعجبت بنظرات الطفولة

الصريحة التي تلازمها , ووقفت دومي
في الشرفة ,

وبدت لها ميناء أنديلوس أشبه بلوحة
مزهرة الألوان , وأخذ بول وكارا يلفتان
نظرها الى مراكب الصيد بأشرعتها
الملونة , والدير المبني من الحجر الأبيض
,

وقد تسلقت جدرانها النباتات الأرجوانية
, والى الجزر القريبة المتناثرة كأنها كتل

المرجان , ونظرت دومي حولها في اهتمام
وكانت الشمس تلمع فوق شعرها ,
وثوبها ينساب في نعومة , فبدت هشة
بجانب زوجها القوي .

ولم تنتبه الى أنها كانت موضع تحديق
الرجل الذي جلس على مقعد مجاور
حيث جلست عمّة بول , وكانت كارا
هي التي لاحظت نظراته عندما

أستدارت فجأة بطريقتها المعتادة

, وهتفت:

" أهلا , لم تكن لدي أدنى فكرة أنك ستأتي لتناول الشاي".

أجاب :

" أردت أن أشارك في الترحيب بعودة الغائب".

وتجمدت دومني في مكانها لدى سماع صوته , ثم ألتفت في بطاء , ووجدت

نفسها وجها لوجه مع باري سوتين مرة
أخرى! لم يكن قد تغير على الإطلاق ,
بأستثناء لمسات النضج المتزايد ,
وحملت عيناه الشقراوان الناعستان في
عينها , وتذكرت جيدا ذلك الفم
الواسع الباسم , وتلك الخصلة المتهدلة
من الشعر ألذهبي وتساءلت بقلق إذا
كان سيعلن معرفته بها ,

ثم أكدت لها غريزتها أنه لن يفعل ,
وأحست بالأضطراب عندما نهض من
مقعده , وقال لبول بأبتسامة ماكرة :
" أنت شديد الحظ أراهن أنك إذا
سقطت في البحر , تخرج ومحارة في
أذنك , محارة داخلها لؤلؤة !".
" أرى يا صديقي من النظرة اللامعة في
عينيك الفنانة , أن (لؤلؤتي) تروق لك
".

وعندها قاد بول دومني الى المائدة في
الشرفة ليقدم باري اليها , أحست
بقبضة ذراعيه القوية حول خصرها.
وقالت دومني:

"كارا أخبريني يا سيد سوتيرن أن
أعمالك رائعة".

وأحست وهي تتعامل مع باري كغريب
, أنها تلعب لعبة خطيرة , ورد هو:

" سأكون سعيدا بأن أريك بعض أعمالي
ذات يوم يا دومني".

وأحست بقلبها يحدرها , حين رأت بول
يرمق باري بوحدة من نظراته الحادة ,
ولكنها في الوقت نفسه أرادت أن تقول
:

" لقد عرفت هذا الرجل قبل أن تفتح
أنت حياتي يا طاغيتي الوسيم بوقت
طويل , لقد جاءني بالمرح , وليس

بالتهديد , وذهب عني لأنني كنت
صغيرة عندما تقابلنا , ولأنه كان يريد أن
يثبت أقدامه كرسام".

ولكنها قالت:

" سأطلع الى رؤية بعض أعمالك يا
سيد سوتيرن , ويخيل الي أن نوعية
الضوء هنا في اليونان لا بد أن ترك
تأثيرها الرائع على عمل الفنان و الألوان

والخطوط لا شك أنها ذات رونق
مضاعف".

،

قال وهو يضغط على حروف الأسم:
" هذا صحيح , بكل تأكيد يا سيدة
ستيفانوس".

وأرتفعت عيناه الى وجهها الذي أحاط
به شعرها العسلي فوجدتهما جامدتين ,
باردتين , وتذكر جيدا مرحها في الماضي

, وشعر بالأزعاج وهو يتأملها تجلس
على مقعد بجوار عمّة بول , وتجب
على أسئلة العمّة صوفيولا عن حفلة
العرس , وشهر العسل , بينما كانت
الأخيرة تصب الشاي , وقدمت كارا
الحلوى والفاكهة , ثم جلست على ذراع
مقعد أخيها , وهي تأكل حبة تين كبيرة.
وقال باري موجهًا كلامه لدومني :

" لا بد أنك زرت الأكروبوليس عندما
كنت في أثينا؟".

" زرتة نهارا ومساء وأعجبني".

وقال بول بأبتسامة جافة:

" دومني من النساء اللواتي يفضلن

الأشياء المقنعة على السافرة , الأعمدة

الأثرية أزعجتها في ضوء النهار".

وقال باري ناظرا الى دومني:

" غالبية النساء خياليات , وأنني
أتساءل يا سيد ستيفانوي إذا كنت
ستسمح لي برسم زوجتك....".
وأحتقن وجه دومني لكلام باري , ذلك
أن العيون كلها أتجهت ناحيتها , حتى
عيني بول غير المقرؤتين , خلف عدستي
نظارة الشمس الرمادية , وتمنت لو تقول
:

" لا يا باري... لا تجعل الأمور أصعب
مما هي عليه الآن".

وأبتسمت كارا في براءة لدومني , ثم
نظرت الى بول وقالت:

" يا لها من فكرة رائعة يجب أن
تدع باري يرسم دومني".
وأضافت :

"أوه , سيثير ذلك غيرة (ألكسيس)

أنها تعتقد أنه لا توجد من تماثلها

جاذبية".

وسأل بول:

"على فكرة أين ألكسيس؟".

وفهمت دومني من تعبير فمه أن طلب

باري لم يعجبه , ووجد في السؤال عن

زوجة أخيه ألكسيس منفذا لتغيير دفعة

الحديث.

وقالت كارا:

" ذهبت ألكسيس في نزهة بحرية مع
ناس يستأجرون منزلا على مقربة منا ,
حيث سيقضون الصيف , أنهم
أمريكيون أثرياء , ولذلك أندمجت معهم
ألكسيس بطبيعة الحال ."

وقالت عمتهما بجدة:

" هذا يكفي , هذا شأن ألكسيس إذا
كانت تفضل صحبة المتحضرين على
الصيادين والمتجولين على الشاطيء ."
وضحكت كارا وهي تنظر الى قدمي
باري العاريتين , ألا من صندل على
الطراز الروماني وقالت:
"أعتقد أن العمة صوفيولا تعنيك , يا
باري , لأنك تسكن في كوخ على
الشاطيء ."

وبعدم أكثرات عقد ساقية , ونظف
بنطلونه من فتات الحلوى , وفهمت
دومني من تقطية وجهه أنه يفكر في
الأيام القديمة , ذات أمسية , في مركب
على الشاطئ الأنكليزي , ملح بأنه
يجب أن يرحل ورغم ذلك لم تشعر
بالحزن ,

ذلك أنها كانت تحس أنهما لا بد
سيلتقيان مرة أخرى , وأفاقت دومي
من شرود أفكارها , لتجد أن كارا
جلست منكمشة بين ذراعي بول مثل
قطة صغيرة , وهزت العمة رأسها وهي
تأمل الأثنين , وقالت:

" أنك تفسدها يا بول , كارا بلغت
السابعة عشرة , ويجب أن تبدأ في تعلم
الأتزان , أنك تعاملها كقطة , وليس

كل الرجال يحبون أن تتخذهم زوجاتهم
مقاعد مريجة".

وجرت الضحكات أشبه بالريح على فم
بول ، وربت على شعر أخته الداكن ،
كان معقوصا بطريقة غريبة ، كما كانت
قد عبثت فيه بالمقص.

وأبتسم بول قائلاً:

" آه , حسن , أن أهدنا لم ير الآخر
منذ حوالي ثلاثة شهور , وأنا مدين لها
ببعض التليل ."

وأغمض كارا عينيها الداكتين , وبدت
كقطة فعلا وهي تمسح وجنتيها في صدر
أخيها , أما دومي فجعلها صوته الحاني
تتذكر الليلة في الفيلا عندما بدأ شهر
العسل ... ذلك الصوت العميق
الدافئ , نقلها الى الجنة , وكم آلمها ,

ولا يزال يؤلمها , أكتشافها أن بول
خدعها.

وأبتسمت كارا لدومني وقالت:
"كم يبدو غريبا أن أفكر الآن في بول
كزوج , وأرجو ألا يضايقك أنني
أستعمل زوجك كمقعد مريح".
وقالت دومني بأستخفاف:
"أهلا وسهلا بك".

ولكن لم يخف عليها أن بول قطب جبينه
، ولا النظرة التي ألقاها باري على ساعة
معصمه ، كما لو أنه لاحظ شيئاً في
سلوكها أرتسم صداه في عينيه ، فأسرع
يخفيهما حتى يسيطر على نفسه من
جديد ، وتلاحقت نبضاتها وقد أحست
بالخطر يحدق بالأجواء.

ونفض باري واقفاً ، وأنحنى أمام عمه
بول قائلاً:

" شكرا يا سيدة ستيفانوس على

الشاي".

ثم نظر الى دومني وقال:

" أتمنى أن تستمتعي بالحياة في الجزيرة ,

ولعلك أنت وكارا تشرفاني في يوم من

الأيام".

وقالت دومني لتسكته:

" سأفكر في ذلك".

وأنتقل باري ببصره الى بول وقال:

" وستفكر يا سيد ستيفانوس في السماح

لي برسم زوجتك؟".

وأحست دومني في سؤال باري بالتحدي

, وأنتظرت بقلب خافق رد بول الذي

قال:

" أجل سترم زوجتي يا سيد سوتيرن

,ولكن ليس الآن , وأعتقد أنه لن

يضيرك أن تنتظر بضعة شهور".

وأطلق باري ضحكة قائلاً:

" سأخذها على أنني يجب أن أنتظر! من

حسن الحظ أنني أستأجرت الكوخ لمدة

سنة".

رد بول في بطاء:

" لن أدع أيا منكما ينتظر عاما....".

وفي تلك اللحظة سمعت دومي عمته

بجانبيها تحبس أنفاسها عندما وخزتها أبرة

التطريز في أصبعها , وقالت وهي تلتقي
بنظرة دومي الجانبية:

" يا لي من حمقاء , حمقاء للغاية في كبر
سني , لقد تركت على الدانتيل بقعة
دم".

وعلقت دومي وهي تتابع باري بعينيها:
" يا للخسارة".

وأتجه باري نحو السلم , طويلا , فارعا ,
وأشعة الشمس فوق شعره الذهبي ,

حتى ذلك الحين كانت دومني لا تكاد
تصدق أن باري عاد الى حياتها , ولكن
كغريب .

ونادت كارا خلفه:

" لا تنسى حفلتنا مساء الغد للترحيب
بدومني وبول , ستأتي , أليس كذلك؟".
وأبتسم لها قائلاً:

" ما من شيء يمكن أن يحول بيني وبين
المنجيء , وداعا جميعا ... وحتى مساء
الغد".

وساد صمت ثقيل بعد رحيله , ثم قامت
كارا وسألت دومني إذا كانت تحب أن
تري ثوبها الذي سترتيه في حفلة الغد
, ورحبت دومني بالفرصة للفرار , ولكن
عندما مرت أمام مقعد زوجها , أمسك
بيدها وتأملها لحظة , وأحست بقلبها

يخفق بين ضلوعها وهو يتفحص وجهها
من خلف العدستين الرماديتين اللتين
كان يبدو بهما غامضا , جامدا , وقال
بهدوء مثير :

" يبدو أنك وجدت باري سوتيرن
شخصا مسليا".

" أعتقد ذلك لأنه أنكليزي".

وأحست بضغوط أصابع بول
، وأنسحبت الأبتسامة من على شفثفه
وهو يسألها:

" أما زلت تشعرين أنك غريبة معي؟".
وعضت شفثفها ، وأحست بكارا وعمته
ينظران نحوهما ، وحينئذ أدار بول يدها
ببطء ، ورفعها ، وقبلها ، وتلقت دومني
القبلة بدون أية حرارة في قلبها ، مدركة
أنها مجرد إعلان عن ملكيته ، عن نزوته.

.....نهاية الفصل

السابع.....

8-نمر رابض في داخله

.....

اطلقت دومني صيحة أمتزجت فيها
الدهشة بالطرب, أذ كان مخدع كارا
أشبه بمحل لآلات الموسيقى الغربية ,
وعبست كارا لرد فعل دومني , ثم
ألتقطت آلة الماندولين التي أهداها لها

أخوها , وداعتها بيدها النحيلة , وهي
ترمق دومي بعينين داكنتين كعيون
الفجر.

والتقطت دومي صورة عن المكتب
لسمراء جميلة , كانت ترتدي ثوب
زفاف , شعرها كان مصففا بطريقة غريبة
, وأقتربت منها كارا ونظرت من وراء
كتفها وقالت:

" أنها صورة أم بول , بول يشبهها , ألا
تعتقدين ذلك؟ وهذا هو والدنا في
الأطار المجاور , مسكين أبي , لم يكن
سعيدا مع أمي , أنني لا أتذكرها جيدا ,
ولكن العمة صوفيولا تقول دائما أنها
كانت النزوة الحمقاء لرجل في منتصف
العمر".

وداعبت كارا أوتار آلتها , وأستطردت
قائلة وهي تضحك:

" وأنا ثمرة ذلك الزواج... الثمرة

الشاذة!" .

وأغتاظت دومني , ذلك أنها أحبت في

الفتاة براءتها ... وسألت :

" من زعم أنك شاذة؟" .

قالت كارا:

"أوه , ألكسيس , وأحيانا عمتي , أنهما

لا تفهماني , وتعتقدان أنه من الغرابة

أن أعشق الموسيقى الشعبية الى هذا
الحد ."

وسألت دومني وهي لا تشعر بالأرتياح
نحو ألكسيس:

" ألكسيس كانت متزوجة من أخيك
الآخر يا كارا , أليس كذلك؟".

وردت كارا بوجه معكر:

" أجل , كانت زوجة لوكاس , لقد مات
منذ ثمانية عشر شهرا , في البحر مثل

أبي... البحر قاس علينا , رغم أنه
مصدر رزقنا".

وقالت دومني برقة:

" أني آسفة على موت أخيك يا كارا".

،

ولمعت الدموع في عيني الفتاة , فحولت
دومني أنتباهها ناحية صورة أخرى حتى

لا تزيد من آلامها , وطالعتها صورة

الوجه الأسمر من خلال أطار آخر ,

صورة بول عندما كان في مثل عمر كارا
تقريبا , ولكنه كان بول غيره الآن ,
بملايسه الغريية من جلد الماعز , وقبعته
الصوفية فوق وجهه الرفيع.

وقالت كارا بفخر:

" كان بول في السادسة عشرة من عمره
تقريبا عندما حارب مع المقاومة , كان
مقاتلا فدائيا , وقد أصيب أصابة بالغة
بقنبلة يدوية أثناء معركة أثينا , وكاد

يموت , وكان ذلك سبب حدوث
الندبة".

ولمست كارا بأصبعها وجهه الخالي من
الندبة في الصورة , وعادت تقول:
" الندبة لا تهم ... ما زال بول أوسم
الرجال في الجزيرة , ولسوف ترزقان
بأبناء رائعين".

وأمسكت كارا عن الكلام حينما
أعادت دومي الصورة الى مكانها على

المكتب بسرعة تسببت في وقوعها ,
وأطلقت دومي ضحكة صغيرة مقتضبة
, وقالت:

"تزوجت أنا وأخوك منذ بضعة أسابيع
فقط يا كارا, ولم نفكر بعد في تكوين
أسرة".

قالت كارا بحرارة:

" لكن الأطفال فرحة كبيرة , أنهم أرق
جانب في الزواج , أو هكذا يبدو لي".

" أنا , أنا لا أريد أن أتحدث في هذا

الموضوع , إذا لم يكن في ذلك ما

يضايقك يا كارا".

وبدت دومني مرتبكة , مرتجفة , وهي

تتصفح كتابا عن أغاني البحر ولكن كارا

أغتاظت بعض الشيء , وبألحاح طفولي

عادت تطرق الموضوع , وقالت:

" ألا تتمنين أن تمنحي بول طفلا ؟ أن

فخر كل امرأة يونانية هو أن تعطي

رجلها ولدا , هل الأنكليزيات مختلفات

? هل هن باردات مثل جماهن؟".

وأجابت دومني في صوت خافت:

" أنا ليس من عادتنا أن نتناقش

في أمورنا الخاصة".

وكانت دومني بعيدة كل البعد عن النفور

من الأطفال , ولكن الطفل في رأيها كان

يجب أن يولد عن حب , ولم يكن حبا

ما يستشعره بول عندما كان يأخذها بين

ذراعيه , وداعبت كارا أحد أوتار
الماندولين , وأختلست نظرة نحو وجه
دومني وهي تتظاهر بتصفح الكتاب
الذي كان بيدها , وسألتها:
" هل تبدو نحن... والجزيرة... غرباء
عليك؟".

قالت دومني :

" أنديلوس عالم آخر بالنسبة الي ,
أحس بأجوائها الأسطورية , لكنني أدرك
عدم أنتمائي اليها في الوقت نفسه".
أعترضت كارا قائلة:

" ولكنك بالطبع تنتمين ... أنت زوجة
بول.... وهذا يجعلك واحدة منا , لا
شك أن عاداتنا ستبدو غريبة في البداية
, ولكنك في وقت قصير للغاية ,

ستشعرين وستتصرفين كزوجة يوناني ,
وستجدين متعة في ذلك".

وأضافت كارا ضاحكة:

" بول شديد السيطرة بالطبع , وأنت
أنكليزية ومن الطبيعي أن يحدث صراع ,
ولكن كما نقول في اليونان , لا يوجد
زواج خالي من الصراع , ثم من
المصالحة".

سألت دومني في هدوء:

" هل تبدو حقا يا كارا متصارعين؟".

،

قالت كارا مؤيدة :

" أستطيع أن أقول أنه توجد بعض
الخلافات بينكما , ولكن بداية الزواج
هي مرحلة وضع الأمور في نصابها ,
والسعادة تكتسب ولا تقدم لنا فوق
طبق".

وأبتسمت دومي متسائلة:

" هل كل اليونانيين فلاسفة؟".

وألفتت كارا قائلة:

" بالطبع, كان اليونانيون متحضرين ,

عندما كان غيرهم متخلفين تعرفين

ذلك طبعاً".

وأحنت الفتاة رأسها فوق آلتها , وأرتفع

أنغام موسيقية يونانية قديمة , وأستمتعت

اليها دومني وهي تفكر في بول و,

والنمر الذي يربض في أعماقه .

النمر , النمر , يهدر في الظلام , بعينين
ذهبيتين تتأججان بالرغبة التي تحركها هي
في أعماقه وتكرهها , ووقفت وعيناها
فوق صورته في شبابه , وقالت حينما
توقفت كارا عن العزف:
" أنت تجيدين العزف يا كارا".
وتحست كارا الماندولين بأصابع يسري
فيها الحب , وقالت:

" هذه الآلة تجعل أي نغم جميلا , أن بول يحضر لي دائما الهدايا التي أحبها , ذات مرة , عند عودته من إحدى رحلاته , أحضر لي معه شجرة ورد حقيقية , وقد علقت بأغصانها العصافير ... ولكن ذلك عندما كنت صغيرة".

وذهبت دومي الى غرفتها ترافقها موسيقى المندولين , وفتحت الباب وفوجئت عندما رأت بول واقفا في

الشرفة , أما هو فأستدار عندما سمع

وقع خطواتها وسألها مبتسما :

" هل أعجبك هذا البيت القديم؟".

ووصلت الى منتصف الغرفة , ولاحظ

البريق القاسي في عينيها , كأنها دموع

متجمدة ترقد فيهما , وسمعها تقول :

" البيت ساحر , لكنه مليء بأقاربك

الذين سيتكهنون ولا شك كيف تسير

الأمر بيننا , هل تعرف أن كارا حدثني
عن ذلك؟".

قال ببطء وهو ينفص دخان سيكاره
المتصاعد في حلقات أمام عينيه
الذهبيتين :

" لا أستطيع أن أبدأ بالتكهن ".
" كانت تتحدث عن الأطفال ...
أطفالنا ...".

وتصلبت عيناه وهما تتفرسان وجهها
الذي ينطق بالتأنيب , وقال :
" أنا آسف لأن كارا ضايقتك , ولكنها
طفلة , ولذلك فهي تقول ما في قلبها ,
يجب ألا تأخذي كلامها على محمل الجد
."

" هل يمكن أن تقترح أن أطبق نصيحتك
على بقية الموقف؟ هذا الأذعاء بأننا

عروسان سعيدان , ولا وجود للحب في
أفق حياتنا".

" اليونانيون لا يفصحون عن مشاعرهم
علانية , وسيكدر أقاربي أكثر مما
يسعدهم , إذا أظهرت عواطفك نحوي
علانية , إذا كنت تحملين لي أية
عواطف!".

" مما يريحي أن أعرف أنني لست

مضطرة الى تمثيل دور العروس

السعيدة".

وأطلقت دومي ضحكة صغيرة ,

وأستطردت قائلة:

" أنا لا أجيد التظاهر ولا الأذعاء ,

حتى عندما كنت طفلة لو أخبرني أحد

بوجود مارد في الغابة لصدقته".

وترك سيكاره ببطء , وأبتسم من خلال
الدخان قائلاً:

" وماذا عن ذلك الحيوان الذي يشبه
الحصان وله قرن ثور يا دومي؟ هل
تذكرين ذلك التمثال الصغير الذي
أشتريته لي بكل ما معك من نقود....
وأمسكته بيدك كطفلة وأنت تهرعين
الي؟".

قالت دومي برود:

" أوه... كنت بالفعل طفلة ... مجنونة
صغيرة غنت عدة ساعات مثل ... مثل
طائر أعمى".

،

وذابت الأبتسامة على شفثيه , وقال:
" تعلمت يا دومني كيف تكونين
قاسية".

وقالت وهي تسحب من أحد الأدراج

بعض ملابسها الداخلية , وتخرج من

الدولاب ثوبا طويلا:

" لدي أفضل مدرس أنت يا بول

وذهبت الى الحمام .

وحينما كانت تغلق الباب , شعرت

بالزهو لأنها آلمته , ذلك الحيوان الخيالي!

كان موضوعا على مكتبه في تلك الغرفة

في بيته , وكأن بول كان يختزن أحساسا

بالسعادة لما يرمز اليه هذا الحيوان من
أذعائها أذعائها الكامل له....

ولكن ذلك لن يحدث أبدا مرة أخرى
.... كانت تعني ما قالته له في الفيللا

أنه يستطيع بكل ترحيب أن يستمتع بما
أشتراه , ولكن قلبها سيظل ملكها.

ولمحت صورتها في المرآة وهي خارجة من
تحت الماء , كانت عيناها عيني أنسانة

غريبة , وتأملت نفسها وقد لفت حولها

منشفة , أين ذهبت دومي دان الطفلة
التي كانت تبحث عن الأشباح في الغابة

وكانت تحلم في السابعة عشرة بشاب
طويل ذي عيين مرحتين , وشعر أصفر ,
وأغلقت دومي عينيها لتتحاشي رؤية
الفتاة التي في المرآة , الفتاة التي يملكها
رجل لا تحبه!

ولم تلبث دومي أن أكتشفت أن
اليونانيين يفضلون تناقل الطعام في الهواء
الطلق , تحت أشعة الشمس , أو على
ضوء النجوم , وأن وجباتهم المسائية
تبدأ في ساعة متأخرة , وأنهم يبطئون فيها
, ويتحدثون عن أشياء كثيرة , وغالبا ما
ينتصف الليل قبل أن يأووا الى فراشهم

,

وكانت النجوم تلمع في المساء عندما
خرجت دومي مع بول الى الحديقة
حيث مدت المائدة المشعشة , كانت
ترتدي ثوب دانتيل بلون المشمش ,
وأحاط شعرها الأشقر بوجهها في
تصفيفة رائعة , وبدا بول في بدلة السهرة
الداكنة أكثر طولا بجانبها , وقد جذب
ببدلته الداكنة , وسلوكه الغامض الانتباه

,

وجعل من دومي هدفا لعيني شابة كانت
تقف ممسكة بكأس بجانب نافورة مضاءة
, كانت ترتدي ثوبا خوخي اللون
وأنعكست عليها أضواء النافورة ,
فأظهرت وجنتيها الشامختين , وعمق
عينيها الغامضتين , وغزارة شعرها
الأسود حول عنقها , وبخطوات المرأة
الواثقة بجاذبيتها المفرطة , تقدمت من

بول ودومني فأدركت دومني في الحال أن
تلك المرأة هي ألكسيس ,
أرملة لوكاس الذي مات غرقا ,
وتفحصت ألكسيس دومني بنظرات
فاترة وهي تسألها إذا كانت أنديلوس
أعجبتها , كانت لغتها الأنكليزية سليمة
جدا , وكانت لهجتها غاية في النعومة
وقالت:

" أتمنى ألا تجدي نفسك معزولة تماما عن

كل ما هو متحضر في ذلك البيت

الذي يملكه بول".

وأستدار بول الى المائدة يسكب كأسين

, ولم تكن عمته وأخته قد ظهرتا بعد ,

وردت دومني بعد أن شكرت بول وهي

تأخذ منه كأسها:

"أعتدت الحياة في بيت ريفي".

ولم تكن دومني تتوقع أن تحب ألكسيس
كثيرا , أذ أحست أنها ستجدها من
ذلك النوع الذي يعيش لنفسه فحسب
, كان ذلك واضحا عليها كعطرها
العنبري النفاذ , الذي كان منتشرا حولها
وملحوظا في حركاتها الشبيهة بحركات
القطعة الفارسية الميالة الى الرفاهية ,
وأطلقت ألكسيس ضحكة عالية
, وقالت:

" ذلك البيت ! ألم أقل لك من قبل يا

بول أنه أشبه بالصومعة؟".

ورشف بول رشفة من كأسه , وقال وهو

يواجه عينيها:

" قلت ذلك , ولكنه بني كذلك حتى

يمكن أن يجد فيه الرجل مهربا من المدنية

المزعومة".

" ولكن دومني امرأة ... وواحدة في مثل

حلاوتها لا بد أن تشعر بالملل مع مرور

الوقت وهي منفية في صومعتك المنعزلة
, أعرف أنني شخصيا كنت سأشعر
بذلك".

قال بول مبتسما:

" أنت مخلوقة قلقة من بنات المدينة يا
ألكسيس , ودومني فتاة ريفية , وأرجو
أن تجد متعة في همسات البحر وأشجار
الصنوبر , والسير في الغابات نهارا".
" صحيح؟".

وأحست دومني بشعور عدائي نحو تلك
الفتاة لم يسبق لها أن أحست به نحو
غيرها , أذ كان واضحاً أن ألكسيس لم
تكن تعني بأن يكون بيت بول غير
ملائم لزوجت لكنها كانت قطة جميلة
تنهش في كل شيء , لتستمتع فقط
بأستعمال مخالبتها , فردت دومني:
" أني أحب الغابات لأنها تذكرني
بوطني".

وقالت ألكسيس بأبتسامة لدومني :

" لا تدعي ساحرة الغابة تجذبك بعيدا يا

عزيزتي فقد تضيعين.....".

وقال بول بجفاء:

" عرفت هذه الغابات منذ كنت صبيا

... وأذا ضلت دومني طريقها ,

فسأجدها حالا , وسأعود بها الى

البيت".

ومنحته ألكسيس أبتسامة ناعسة من

خلال أهدابها وهي تقول :

" يا لك من شخص محب للسيطرة , يا

بول".

،

ثم نظرت الى دومني وقالت:

" أليس مرعبا لأنكليزية أن تتزوج واحدا

من يونانيين المستبدين؟".

وأحست دومي بالتوتر وبقيت بجانب
بول , وشعرت بالأرتياح عندما حولت
ألكسيس أهتمامها الى وصول مضيفتهم
, وأثنين من الخدم يحملان صواني الطعام
, وظرت كارا لاهثة الأنفاس في ثوب
أخضر , ومعها آلة الماندولين التي
وضعتها بعناية على مقعد تحت إحدى
الأشجار.

وقالت ألكسيس وهي تتشدد

بالكلمات:

" هل سنستمع الى الموسيقى أثناء تناولنا
الطعام؟".

ورمقتها كارا بنظرة غجرية متحفزة ,
وقالت:

" دومني ترغب في سماع الموسيقى
اليونانية , هل عندك مانع؟".

وحولت ألكسيس عينيها نحو الفتاة

وقالت:

" ومن أكون في هذا البيت حتى أمنع

شيئا؟".

ثم حملت فيها وهتفت:

" أحمر شفاه يا كارا؟ هل وضعته من

أجل نيكوس؟ آه... ها هو قادم ...

نيكي, ابنة خالك الصغيرة وضعت أحمر

شفاه تكريما لك!".

وكان نيكوس شابا وسيما لطيفا , وفي
طريقه الى بول , شد شعر كارا بدون رقة
, وأحست دومني بمدى زهو أمه الأرملة
به , كما أحست أيضا أن الصغيرة كارا
متعلقة به وأن لم تكن تشعر بذلك تماما
,

ذلك أن وجهها أحتقن بشدة لملاحظة
ألكسيس , ومسحت أحمر الشفاه في
سرعة بمنديلها وجلس نيكوس بجانب

دومني على المائدة , وساعدها حديثه

الودي على الأسترخاء والأستمتاع

بأطباق الطعام اليونانية ,

وأنطلق نيكوس بأبتسامته المرحة يشيع

جوا من البهجة أثناء تناول الطعام ,

فكان يقدم النخب في صحة العروسين

وهو يردد قولاً مأثوراً : الزيت من

الكريم , والخل من البخيل والنخب من

الأبله ! وبأختلاس نظرة نحو بول ,

تبينت دومني أن نيكوس يشبه صورته في
شبابه وهو بملابس المقاتل الفدائي ,
وأحست أنه منذ ذلك الحين , تدخل
الشیطان ,

وأحال الشاب المثالي الى رجل قاس ,
وتساءلت إذا كان أحد الموجودين حول
المائدة يشك في ذلك , أم أنهم كانوا
يعرفون ويتقبلون الأمر بأعتباره طبيعة
الرجل اليوناني الناضج؟

،

وقال نيكوس:

"لا بد أن أنديلوس تبدو غريبة بعد
أنكلترا , وأنتك تشعرين حتما أنك بعيدة
جدا عن وطنك!!".

وردت دومي :

" أجل أنكلترا تبدو بعيدة جدا ."

وغمز نيكوس لعينه عبر المائدة لكارا

وقال:

" أذن يجب أن نبذل أنا وكارا قصارى
جهدنا لتعاونك على الأحساس بأنك في
وطنك.....".

وأبتسمت دومني للشاب الذي ضحك
بصوت مرتفع وقال:

" بول... يجب أن تحافظ جيدا على
أقحوانتك البيضاء هذه, وألا سرقتها
منك , هل يوجد لها مثيلات كثيرات في
أنكلترا؟".

أبتسم بول قائلاً:

" تستطيع أن تذهب الى هناك في مهمة

, وحينئذ سترى بنفسك , لكنني لا أظن

أنك ستجد أخرى مثل دومي تماماً".

وضرب نيكوس بيده على المائدة وهو

مزهوا , فأنبته أمه على تصرفه الذي

أهترت له الأطباق وأدوات المائدة ,

وقالت:

" إذا تصرف كصبي , فسيعتقد بول
أنك غير لائق بعد لمركز هام في العمل ".
قال بول بتؤدة:

" نيكوس في حالة معنوية طيبة صوفيولا
, وأنا أستمتع بسماع الخيالات التي
يمتلىء بها الشباب ".

وأهتزت أهداب ألكسيس الطويلة فوق
وجنتيها بينما كانت النظرة التي رمقت

بها بول اخفي ضحكا غامضا وهي
تقول:

" أنك لم تصل بعد الى الشيخوخة يا
بول , أن لك خيالاتك أيضا...".
وتقلصت أصابع دومي حول كأسها ,
ذلك أنها أحست أن الأكسيس بما لها
من حاسة القطة , تبينت أن بول
تزوجها عن جموح خيالي وليس عن
عاطفة , بول... شقيق الزوج...

الغني... الجذاب... الذي لا بد أن
تكون ألكسيس نفسها قد حركت
خياله.

وقالت كارا حاملة:

" أنا أحب كل تلك الحكايات الخيالية
والخرافية , أن بيت بول يبدو لي دائما
ذا طابع أسطوري وهو يقع شامخا فوق
صخرة النسر المطلة على البحر".

وقال نيكوس مازحا في مودة:

" وهل تتصورين دومي الأميرة

الأسيرة؟".

وأتكأت كارا على المائدة , وأسندت

ذقنها الى يدها , وأبتسمت قائلة:

" بل أن دومي تشبه البجعة المسحورة

التي خلعت رداءها لتستحم كفتاة ,

والتي أضطرت لأن تتزوج الرجل الذي

سرق رداءها البجعي ".

ورمقت العمة صوفيولا ابنة أخيها بنظرة

حادّة وصاحت:

"عم تتكلمين أيتها الطفلة؟ هل ترى يا

بول؟ أنها تعيش في عالم وهمي."

وأفرغ بول ما في كأسه وقال:

"كارا في السادسة عشرة... طفلة".

ولكن دومني لمحت بريق الغضب في

عينيه , كانت أخته غير الشقيقة

الوحيدة التي تملك كل عواطفه ,

وتساءلت دومني إذا كان يجب أن تعيش
معهما , كان من الواضح أن كارا ليست
سعيدة في حضانة عمته ,

ذلك أن نيكوس كان يظهر لها من
الأهتمام المختفي وراء مزاحه معها أكثر
مما أمه تحب , بالأضافة الى وجود
الكسيس , التي لم يكن مزاحها في رقة
مزاج الشاب أو براءته.

وقررت دومني أن تقترح على بول دعوة
كارا لقضاء بعض الوقت معهما ,
وأقامتها كان يمكن أن تمتد لتصبح دائمة
, إذا وجدتها إقامة سعيدة , وكانت
دومني متأكدة من ذلك , أذ كانت كارا
متدفقة الحيوية , وموسيقية , وكان بيت
بول بحاجة الى قفزات الشباب في أرجائه
, وإلى ضحكات تعيد النبض اليه ,

ذلك النبض الذي خلا منه خلال

السنوات القليلة الفائتة.

وأفاقت دومني من شرودها عند ذلك

الحد , لتجد ألكسيس تحمق فيها

وأبتسامة صغيرة على شفيتها , ثم تحول

بصرها ناحية بول , ولحقتها دومني تزم

فمها الأحمر وهي تقيس بعينيها عرض

كتفيه , ثم ترتفع بهما الى الشفتين

المطبوعتين بالتصميم , وبالحدة ,
وبالرغبة.

وعندما نهض الجميع من حول المائدة ,
لتناول القهوة على المقاعد الموضوعة
تحت الأشجار , أحست دومني بأن
ألكسيس تراقبها وبول يحيط كتفيها
بوشاح من الدانتيل , وينزع من شعرها
حشرة صغيرة أستقرت فيه ورغم أنها

كانت لمسة خفيفة , لكنها كانت تنطق
بالتملك ليشهدا الجميع....

تملكها من شعرها الأشقر , حتى قدميها
الصغيرتين في الحذاء الفضي.... هي
الأنكليزية الباردة الرقيقة....

كانت ملكا للزوج اليوناني
المستبد. وتوترت ألكسيس إذا رأت بول
يوجه دومي الى المقاعد الأكثر أنعزالا.
.....نهاية الفصل الثامن.....

9- شال الياسمين

.....

سبق لدومني أن أستمعت الى الموسيقى
اليونانية القديمة في أثينا , لكنها تبينت
أنها لم تكن شيئاً يذكر بالمقارنة مع سحر
الأنغام التي عزفتها كارا - وكانت كارا
تغني بنعومة تارة باليونانية , وأخرى
بالإنكليزية , وسرت رجفة في أعماق
دومني مع نهاية كلمات الأغنية الحزينة.

" لا أستطيع أن أموت إلا إذا كنت
بجانبي أيها الوجه الروحاني , أيها الملاك
, مع آخر أنفاسي قبلي حتى الموت".
وأحاط بول كتفي دومي بذراعه في قوة
وسألها:

" هل تشعرين بالبرد؟".

فهمست وهي تشعر كأن أصبع القدر
تسللت خلال ظلمة الليل فتسرع من
خفقان قلبها تحت يد بول:

" كلا, أنها الموسيقى , وتلك الأغنية
الصغيرة الحزينة".

وقفزت ألكسيس واقفة على قدميها
وقطعت روعة الغناء قائلة وبريق غريب
في عينيها:

" دعونا جميعا نذهب الى ملهى (القناع
الفينيسي) لنرقص.... سيكون ذلك
أكثر بهجة من الجلوس هنا والأستماع
الى موسيقى كارا الحزينة , لا بد أن آل

فانهورن هناك وربما يكون باري سوتيرن
أنضم اليهم , أنه يحب الرقص .

وقال نيكوس بتكاسل وهو يمد ساقيه
الطويلتين فوق سور الحديقة:

" أنت نشطة أكثر من اللازم يا

ألكسيس , ولكنني أحب الموسيقى التي
تعزفها كارا .

عادت ألكسيس تقول بنفاذ صبر:

" آه , هيا بنا , سيكون لدينا متسع من
الوقت للجلوس وسماع الموسيقى عندما
تكبر , الآن أفضل الرقص , وفرقة
الموسيقى في الملهى جيدة للغاية".

وقالت دومني وقد خفق قلبها لدى
سماعها من ألكسيس أن باري ربما يكون
قد ذهب الملهى :

" أنا أفضل الذهاب...".

وقال بول مرغما:

" حسنا سنذهب إذا لم تكوني متعبة".

وبمرح أنفلتت دومني من بين ذراعيه

وهي تقول:

" وهل يمكن أن يصاب الإنسان بالتعب

في اليونان؟".

ثم ذهبت مع الفتاتين لإعادة تنظيم

شعرها , ولأحضار وشاح , بينما

رفضت العمة صوفيولا الانضمام الى

المجموعة , معلنة أنها تخطت عمر

الذهاب الى الرقص , وضحك نيكوس
قائلا:

" نراك في الصباح! ".

،

ثم أنحنى وقبل وجنتها , فأمسكت
بكتفيه لحظ , ونظرت اليه بشغف , ثم
تركته يذهب , دافعا بأبنة خاله داخل
سيارة ذات سقف منخفض , وكانت
ألكسيس على وشك الدخول في سيارة

بول , لكن نيكوس أمسكها من خصرها
 , وقال مازحا:

" ستركبين معنا , ما زال بول ودومني في
مرحلة الرغبة في الأنفراد".

قالت ألكسيس متجمدة وهي تشير الى
سيارته:

" سنتحطم في هذه الحشرة".

ودفعها نيكوس وهو يقول:

" تفضلي يا سيدتي".

وأستدار ليلقي بأبتسامة الى بول قائلاً:
" سنسير أمامك يا ابن الخال , النجوم
منخفضة الليلة حتى , يمكنك تقيلها".
وقالت دومني وبول يوجه السيارة في
أتجاه الميناء:

" أنها جميلة , هذه النجوم , لم أكن
أعرف أن النجوم يمكن أن تظهر ضخمة
هكذا , أستطيع أن أخطف واحدة
لنفسي".

وسأل بول:

" هل تعتقدين أنك ستحبين الحياة في

الجزيرة؟".

وأستنشقت دومي عبير الأزهار النامية

فوق الهضاب , ولم تستطع أن تنكر

تجاوبها مع سحر أنديلوس الأسطوري ,

وقالت مبتسمة:

" أجل يا بول , الجزيرة ساحرة , مكان

مناسب للنسور والأفاعي".

وقالت وأصابعها تداعب حقيبة يدها :
" فكرت يا بول أنه سيكون لطيفا إذا
أقامت كارا معنا فترة , أنا على ثقة بأنها
ستسر بذلك , أنها متعلقة بك للغاية ,
ثم أنني أجدها شخصية ممتعة".
ولم يرد لمدة دقائق , ثم قال:
" أعرف أنك تحبين كارا , ولكنني أعتقد
أن دافعك هو خوفك أن تكوني وحدك
معي".

قالت وهي تشعر بنظراته مصوبة نحوها:

" أنك لم تفكر في أن تجعلني أسيرتك".

وكانت تجلس بجانبه تماما , ووشاحها

حول كتفيها , وقد تدلى من أذنيها

القرط ذو القلب اللؤلؤي الذي أهداه

لها , وقال بول برقة:

" هل من الضروري أن تتحدثي بهذه

الطريقة المأساوية يا حبيبتى؟".

وأحتقن وجهها غضبا وهي تقول:

" لك أن تتظاهر أمام الآخرين بأنك
الروح المغرم يا بول , ولكن لا تفعل
ذلك عندما نكون بمفردنا , دعنا على
الأقل نكون صادقين في أن وجهي
وجسمي هما كل ما تريد , أما الأنسنة
داخل هذا الجسم فلا تهتمك أبدا , أنني
أشك أنك تعرف شيئا عن تلك
الأنسنة , ما إذا كانت عندما تزوجتك
تهتم بآخر أم لا , أنك لم تفكر أبدا في أن

تسأل , هل فكرت يا بول , شيء لا
يهمك مادمت قد حصلت على ما
تريد".

وأقتربت السيارة من الميناء , وعلى بعد
حوالي نصف ميل كان يقف يخت تبعث
منه أصوات الموسيقى والضحكات ,
وبهدوء سأل بول:

" هل كنت مهتمة بشخص آخر؟".

وتفحصت دومي جانب وجهه , كان في
كمال الفن الأغرقي , ولكنه أيضا كان
باردا وجامدا كارخام الذي نحت منه
الأغريق تماثيلهم , وكم تلهفت أن تعلن
بأنها كانت تهتم برجل آخر – وأنها لم
تكف عن الأهتمام به , وأنها منحتة كل
العواطف التي لن تستطيع أبدا أن
تمنحها سواه.

ولكنها حتى في أنفعالها وغضبها

كان لخوفها من بول اليد العليا ,

وأستدارت جانبا لتقول ببرود:

" وما الذي يمكن أن يعينك في ذلك؟ ما

كنت لتتهم بمشاعري , أنك مخلوق من

حجر".

قال ببطء:

" ليس تماما , الرجل المخلوق من حجر
لا يحركه وجه أو جسم , ولا يجرحه
برودهما".

وأرتجفت كأنه لمسها بكلماته ,
وأحكمت وضع الوشاح , فما الذي
يتوقعه بول ؟ ليس الحب بكل تأكيد من
أمرأة منحته نفسها لتنقذ أسرتها من
الفضيحة , كلا , أنه لا يتوقع منها
العاطفة , ولكن حدث ذات ليلة في

أثينا أنها تيقنت أن بول يعيش منطويا
معزولا عن الناس ، وأنه يعاني وحدة
غريبة ، كان في السادسة والثلاثين من
عمره ، ولكنه كان يبدو أحيانا أكبر من
تلك السن بكثير.

،

وعاودت دومني أحداث تلك الليلة
بوضوح ، كانا قد أمضيا اليوم كله في
السباق ، حيث بدأ يعاني الصداع

وتأثرت هي لمعاناته , ووتعجلته العودة
الى الفندق , حيث تناولا عشاءهما في
شرفة جناحهما , ورغم أنهما لم يتحدثا
ألا قليلا , ولكن شيئا من الألفة كان
يقربهما , وعندما ذهب الى غرفته ,
وبقيت هي وحدها في غرفتها , سمعته
يزرع الغرفة ذهابا وأيابا لأكثر من ساعة
.... ذهابا وأيابا مثل نمر في قفصه
, بينما بقيت هي في فراشها قلقة

تتساءل إذا كان ضميره هو الذي يورقه
، وتسربت حلقات دخان سيكاره الى
غرفتها ، ومرة أو أكثر همت بالنهوض
لتذهب اليه ، وكانت يدها على الغطاء

،
وعلى وشك أن تقذف به ، عندما
أنقطع صوت خطواته ، وسمعته يأوي الى
فراشه ، وتبينت من الخطوط العميقة
على صفحة وجهه صباح اليوم التالي ،

أنه لم يقدر على النوم وبخشونة عانقها
في ثوبها الحريري , وسحق السؤال
المهذب عن فمها , وضحك بدون مزاح
قائلا:

" أذن سمعتني وأنا أزرع الغرفة ".
ومن جديد أنتزع عنوة ما لم يكن من
الممكن أن تمنحه اياه برضاها , والآن
.... والسيارة في طريقها الى الملهى ,

ألتفت بول ليواجهها وقد أسند مرفقه

الى عجلة القيادة , وقال :

" ولكن ستحزن الفتاة لو علمت أننا

نتقاسم شهر عسل مر".

وأهتزت دومي للطريقة التي تكلم بها ,

وقالت محتدة:

" ألم ألعب دوري بتعقل حتى الآن! أنني

أحب لكارا أن تقيم معنا ليس لمصلحتي

فحسب , ولكن لأنني أشعر أنها ليست

سعيدة في بيت عمك, لا بد أنك
تشعر بذلك يا بول".

،

وهز رأسه قائلاً:

" منذ ترملت عمتي , أصبحت متعلقة
للغاية بنيكوس ... ومن الأفضل لك
أن تعيش معنا , من قبل كنت غالباً ما
أتغيب عن الجزيرة , ولذلك كان بيتي
موحشاً لها , الآن تغيرت الأمور , الآن

لي زوجة , أجل , لكل الأعتبارات ,
أدعو كارا للأقامة معنا".

قالت دومني بهدوء:

" أنها تحبك يا بول , ولن أفعل شيئا
يمكن أن يدمر ذلك الحلب فأنا لست
منتقمة".

وربت على شعرها , وبدأ فمه لحظة
رقيقا وهو يقول:

" آه , كلا , أنت حساسة الى حد
التطرف , ولذلك تجدين من الصعوبة
أن تفهميني , ربما بمرور الوقت
ستفهميني ."

وداعبت أنوار الملهى وجه دومني وهي
جالسة في السيارة , وخفق قلبها ,
نصف هذا الخفقان كان تهيبا , ونصفه
الآخر كان شوقا مستترا لأن تجد باري

في الملهى ، ولأن يرقصا معا ، ونزلت
من السيارة ،

وسمعت خلفها صفقة الباب القوية ، ثم
أحست بيد بول على مرفقها وهما
يصعدان سلم الملهى ،

وفي الداخل قدمت له فتاة قناعا أسود
، وقدمت لدومني قناعا ذهبيا ،
وأطلقت دومني ضحكة منفعلة وهي
تضع قناعها ، وقالت:

" أحس في هذا القناع كأنني فتاة من
القرن السادس عشر ".

ولمحت بريق النمر في عيني بول من
خلال القناع الأسود , وأفتر ثغره عن
أبتسامته وهو يسير معها داخل الملهى ,
حيث كان البعض يرقص الفالس ,
والبعض الآخر جالسا في خلوة يتحدث
, وتلفتت دومي حولها , وقد أنفرجت
شفتاها , وأحتبست أنفاسها في حلقها

عندما رأَت شخصاً طويلاً , عريض
الكتفين , يشق طريقه خلال الراقصين ,
كان قناعه قرمزياً , وكان من المحتمل أن
تعرفه في أي مكان , وسط الزحام
, بسبب رأسه الذي يشبه رأس الأسد .
وحياهما , ثم سأل بول :
" هل تسمح لي بأن أرقص مع زوجتك
, يا سيد ستيفانوس؟ " .

ورد بول بفتور بالموافقة , وهو ينسحب
 , بينما كان باري يسحب دومني داخل
 حلبة الرقص , وقالت دومني لنفسها أنه
 الدخان الذي أغشى عينيها , عندما
 تلاشت سنوات البعاد , وتحركت هي
 من جديد على أصوات الموسيقى مع
 باري , ولمدة لحظات ظلا يرقصان بدون
 كلام , وهما يدوران كما لو كانا وسط
 السحاب , وأخيرا همس بأسمها , وقال:

" دومني لقد أوشك قلبي أن يكف عن
النبض عندما ظهرت في الشرفة عصر
اليوم , كارا أخبرتني أن أخاها تزوج فتاة
تدعى دومني , ولكنني لم أصدق , لم
أكن أريد أن أصدق أنها أنت....
ليست دومني التي تخصني".

،

وأمتلأت عيناها بالدموع وهو يتكلم ,
وتعثرت , فأعانها باري , وأرعبها ذلك ,

أذ كان بول يتحدث مع ألكسيس
وكانت اوجد مرآة خلف البار تعكس
حلبة الرقص بمن فيها من الراقصين
وأبتعدت بسرعة عن باري , وهمست
وقد تحولت فرحتها بوجودها معه الى
خوف :

" يجب أن نأخذ حذرنا".

وأندست أصابعه في خصرها وهو يقول:

" لكنني يجب أن أتحدث معك على
أفراد".

وتغلغلت عيناه في عينيها , وبدأ فمه
خطيرا أرادت أن تضع يدها على شفثيه
, أن تجهض الكلمات , ولكنه عاد
يقول بنبرات صادرة من أعماقه :
" أنني أحبك يا دومني , لم أكف أبدا
عن حبك".

أجابت :

" أني متزوجة يا باري , وهذا , وهذا

الحديث عن الحب يجب أن ينقطع".

قال بخطورة :

" وأنا أريد أن أصرخ به.... وسأفعل إذا

لم تخرجي معي الى الحديقة , لتخبريني

لماذا تزوجت رجلا لا تحبينه".

،

قالت لاهثة:

" كيف.... كيف عرفت؟".

وبدأت تحس بالدوار من الرقص , ومن
أستمرار بقائها مع رجل آخر غير بول
, ونظرت الى زوجها من فوق كتفي باري
, كان جالسا مع ألكسيس , وكان يبدو
مستغرقا معها في الأحاديث , حن كانت
عيناها مسمرتين على وجهه من خلال
القناع.

وقال باري يتعجلها:

" دعينا ننسحب الآن... أن زوجك

منهمك مع ألكسيس ذات

الأغراء...".

قالت بخوف:

" لا يجب أن أفعل ذلك".

ورغم ذلك كانت بحاجة شديدة لأن

تتكلم مع باري على أنفراد , ولكن بدا

لها ذلك مستحيلا , في ذلك الملهى ,

وكفت الموسيقى , وبدأت حركة جلوس

الراقصين عندما أعلن أن البرنامج سيبدأ
، وخبث الأصوات مرة أخرى ، وبدأ
عزف موسيقى ناعمة ، وخرجت من بين
الستائر راقصة رشيقة ، وتقدمت نحو
منتصف القاعة ، حيث تركزت حولها
الأضواء ، فبدأت أشبه بفراشة كبيرة
مشتعلة.

ووقفت دومني في الظل بجانب باري ،
وقلبها يخفق بشدة لقربه ، بينما رفعت

الراقصة يديها السمرارين فوق رأسها
وأخذت تدق بأصابعها على الصاجات

،
وأسرعت الموسيقى ، وبدأت ترقص
وكانت دقات الصاجات أشبه بصوت

قواقع البحر تقرع بعضها بعضا ،
وتمايلت الراقصة الى الأمام ، والى

الخلف ،

حتى لمس شعرها الأسود الطويل الأرض

.... وأستحوذت على الأنتباه وتمكن

شخصان أن يتحركا الى الخلف في

الظلال من الأبواب الزجاجية على

الحديقة وكان الرجل يتعجل المرأة

بيدين من الصعب أغفالهما.

وقال باري ضاحكا وهو يمسك بدومني

:

"تعالى هنا بين الأشجار... فى ظلها
ووسط شداها...".

وأرتجفت من كلماته ومن لمساته
وقالت:

" لا تفعل... سأعود ثانية الى الداخل
عندما تسكت الموسيقى".

قال بصوت غاضب , وغيور:

" هل أنت خائفة من زوجك؟".

" كلا... ليس ذلك تماما".

" ماذا إذا؟ جاذبيته المستبدة؟ هل هذا ما لم تستطعي مقاومته؟".

وأمسكها من كتفيها بقوة وعاد يقول:

" يجب أن أعرف لماذا تزوجت بول

ستيفانوس , لماذا يا دومني , في حين كان

مفهوما بيننا , بدون كلمات , أنا في

يوم ما سنتزوج؟".

" في يوم ما يا باري؟ لقد رحلت , ولم

تكتب أبدا , أعتقد أنك نسيتني".

" ليس هذا صحيحا , لقد تعاهدنا على

الانتظار في تلك الأمسية التي سبقت

رحيلي , وأنت تعرفين أنني كنت أعني ما

أقول عندما أخبرتك أنني سأعود إليك ,

كنت صغيرة يا دومي , وكنت شديدة

الأعتداد بحريتك , وكنت أريد أن أفعل

الكثير بحريتي قبل أن أتزوج , كنت أريد

أن أحقق في لوحاتي ما فعله رجال مثل

(رودان) في الحجر كنت بحاجة الى

الوحدة المطلقة أثناء عملي".

،

وسألته وهي تنظر في وجهه القريب

منها:

"وهل نجحت يا باري؟".

قال وأصابعه تداعب خدها:

"ذهبت الى أماكن عديدة , وهنا في
اليونان وجدت الضياء باهرا حتى أنني لم
أستطع التوقف عن الرسم".
وساد بينهما صمت لم يقطعه سوى
صوت الموسيقى المصاحبة للراقصة.
وقال باري:

" قدامى الأغر يق كانوا دائما يصطادون
العصافير في شباك , وكانوا أيضا
يعشقون مذاق العسل المر".

" هل هذا هو تعريفك لزواجي؟".

" لست سعيدة مع الرجل ... أعرف

ذلك.... رأيت عينيك وأعرف

كيف تبرق زرقتهما عندما تكونين

سعيدة".

" السعادة ليست كل شيء في الحياة يا

باري".

ورفع ذقنها , وقال بخشونة :

" الدموع جعلتك أجمل مما أتذكرك , ما الذي بينك وبين هذا اليوناني ؟ حب أم كرهية؟".

" كل ما أستطيع أن أجيبك به أنه يقف بيني وبينك يا باري , أنني ملكه , أنه زوجي".

" وهل عرفت معه لحظة سعادة منذ أصبح زوجك؟".

" أجل , آه... تبدو مصدوما يا باري
كما لو كان ذلك أمرا مستحيلا ولكنه
ليس وحشا...".

وأغمضت عينيها وقالت وقد عاودها

القلق:

" يجب أن ندخل ... الموسيقى توقفت ,
والناس تصفق".

وحاولت أن تتخلص منه ذلك أن كل
همسة , كل ظل , كل ثانية كانت
تقضيها في الحديقة معه , كانت تضاعف
من توترها , ثم قالت :

" ستحضر الحفلة مساء غد وسنة
بعضنا البعض وسنرقص معا".

قال وأنفاسه في وجهها :
"دومني أيتها الصغيرة الحمقاء...

أنا وأنت لا يمكن أن نكون مجرد

صديقين أبدا , خلقنا لنكون متقاربين
أكثر من ذلك".

قالت بيأس:

" ما كان , لم يعد له وجود الآن , ألا
تستطيع أن تدرك ذلك؟".

قال بأصرار :

" كلا , كوني ناضجة يا دومني , إذا
أعتقدت".

قاطعته قائلة:

" وأذا أعتقدت أنت , أنني يمكن أن
أعيش في عالم من الأحلام , وأتظاهر
بأنه لا وجود لبول فأنت مخطيء
للغاية".

وبعينين عاصفتين ألتقت بعينه وهي
تقول:

" أنه يوناني.... ومستبد للغاية وما
من شيء يمكن أن يلغي حقيقة كوني
تزوجته".

تكلم باري بعصية قائلاً:

" أنت ملكه؟ لقد عرفت ماذا يعني

ذلك لي...".

قالت مغلوبة على أمرها:

" أنني أنتمي إليه... هذه حقيقة".

ورفع وجهها إليه , وتأمل القناع الذهبي

, وقال:

" أجل... أنه صاحب حق... ولكنني

أملك شيئاً آخر".

سألت مرتجفة:

" ماذا تملك؟"

" أملك قلبك يا دومني , أنا متأكد من

ذلك".

وتجمد كل شيء حينما نطق بذلك , حتى

الأشجار والثمار بدت كأنها توقفت عن

الحركة لتصغي الى لحظة حلوة , خطيرة ,

تجمعت خلالها الذكريات , ووعود

الشباب , وأحلام الحرية , وأحست

دومني بلمسات اليدين التي أعتادتها ,
وأغرورقت عيناها بالدموع , وأحست
برغبة عارمة في أن تفضي لباري بكل
شيء , وأن تقول له :

" خذني بعيدا....توجد مراكب في
الميناء للأيجار ... ونستطيع أن نكون في
الصباح على بعد أميال خذني
بعيدا يا باري... وسنعود الشابين
المنطلقين كما كنا من قبل".

وأرتفع صوت باري يقول:

" لماذا تزوجته يا دومني؟ أعرف أنه

وسيم وأنه يملك مالا , ولكن شيئاً من

ذلك لا يمكن أن يكون دافعك إلا إذا

كنت أحببته , أخبريني يا دومني."

" أنا... أنا لا أستطيع أن أخبرك...

السبب يتعلق بشخص آخر."

" رجل؟"

" أجل."

" ماذا حدث لك يا دومي ؟ ما الذي
غير الفتاة المرحة الجميلة التي أحببت؟".
وهزت رأسها بدون كلام ... ثم أنفلتت
, وأسرعت بدخول الملهى , وكانت
بعض وريقات نبات ياسمين العسل قد
علقت بشعرها , فأخذت تنفضها ,
ولكنها لم تكن تعرف أنها علقت أيضا
بوشاحها .

ووجدت الناس ترقص من جديد ,
تفرست في الراقصين : أثنان منهما
جعلوا الباقيين يظهران متوسطي القامة ,
بول مبتسما , وألكسيس معه , ثم
أحست بيد علي ذراعها ,
وألتفت لتلقي بعيني كارا اللتين كانتا
تفحصان شعرها ووجهها , ثم مدت
كارا يدها ونفضت لها وشاحها وثوبها ,
وأبتسمت قائلة :

" هجرني نيكي ليرقص مع سوزي
فانهورن , وبول يرقص مع ألكسيس
ولكن لا تهتمي".

ردت دومني:

" أنا لا أهتم".

،
ثم لمحت وجه كارا المقنع يعبس , بينما
أتهمت عيناها ناحية الباب الزجاجي

الذي دلف منه باري سوتيرن , ونظر الى
دومني وكارا.

ورغم أنه هو ودومني كانا مقنعين
أحست هي أن كارا الواقعة بجانبها
رفعت عنها القناعين , وبطرف الحذاء
أخذت كارا تدوس الوريقات التي
نفضتها عن ثوب دومني , لقد عرفت
أن زوجة أخيها وباري كانا معا في

الحديقة , ولكن ليس كغريبين كما كانا
يتظاهران .

..... نهاية الفصل

التاسع.....

10-الكهف الذي سقط

.....

لم يعمل بول طوال الأسبوع الأول ,
وأَمْضيا أيامهما على الشاطئ المنعزل
تحت التلة , وسط مياه البحر الزرقاء ,

وكانا يسبحان ويبهران في زورق صغير ,
وبدا لدومني خلال هذه الأيام والليالي
التي قضتها وحدها مع بول ,
أنه يرمي الى نحو كل ذكرى تقاسمتها مع
باري أو مع سواه وذلك بعدما أعطاهما
باري إحدى لوحاته فقامت بكل براءة
تهديتها الى بول , وما هي سوى دقائق
حتى علم بول أنها عرفت باري في

أنكلترا عندما كانا شاين وأنها أحبته حبا
عذريا في ذلك الوقت.

وعلى الجانب الآخر من المركب ,
جلست تراقب بول , بكتفيه العريضتين
, وشعره الأسود المجعد , وأحست
بلهيب في داخلها وقفزت لتسبح حتى
الشاطئ ,

وأخذت تمسح المياح عن عينيها , ثم
فعلت يدها لتعصر شعرها وهي تجري

فوق الرمال في اتجاه ظل الكهف حيث
تركا سلة الطعام بعيدا عن لفحات
الشمس .

ولحق بها بول , وأقبل من الشاطئ في
اتجاهها , ومن خلال أهدابها راقبته في
ملابس البحر , ووجدها تقطع شرائح
البطيخ الأصفر المثلج , فقال وهو
يجلس بجانبها , ويأخذ شريحة :
"أنني مستعد لذلك!" .

وأنهمكت أسنانه البيضاء في أكل
الفاكهة الذهبية , بينما كانت دومي
تأكل شريحتها وقد دفنت قدميها
العاريتين في الرمال .
وأستقر نسر فوق التلال وقد فرد
جناحيه , ووضع بول شريحة البطيخ
جانبا , حتى يتسنى له أن يراقب طيران

الطائر الكبير وأتسعت أبتسامته وهو

يتأمل جناحي النسر , وقال :

" رائع... تماما ما جاء في المثل ... هل

تعرفينه يا دومني؟".

وهزت رأسها بالنفي , وكانت تفكر في

أنه متوحش , وعنيف , تماما مثل النسر

الذي يبحث عن فريسته .

وأبتسم بول قائلاً :

" المثل يعدد عددا من العجائب
من بينها نسر في الجو... وسفينة وسط
البحر ورجل مع فتاته".
" يا له من أمر ظريف... هل لك في
فطيرة باللحم؟".

وأنحنت أمامه لتصل الى سلة الطعام...
وأمتدت يده الى خصرها وهو يقول:
" أجل , أطعمي الوحش , فينام لمدة
ساعة , ويمكنك أن تستمتعي برؤية

الأسماك الملونة , والبحث عن الأعشاب
المرجانية".

وأحتقن وجهها للسخرية في صوته ,
وناولته فطيرة باللحم مع علة الزبدة
وبعض شرائح البندورة وأتكأ على مرفقه
, وأنطلق يأكل وهو ينظر للبحر
, وسكبت دومي القهوة وأضافت إليها
العسل البري الذي كان بول يحبه ,

وأخذ الفنجان ورفعها نحوها قائلاً

باليونانية:

" في صحتك".

وردت على تحيته بالإنكليزية ثم أشاحت

عنه بوجهها وهي تشرب القهوة ,

وتأكل غدائها , كانت صحتها تهمه

لأمر واحد فقط , كانت تعتقد أنه يريد

منها أن تمنحه طفلاً.

وما كادا ينتهيان من طعامهما , حتى
أغلقت سلة الطعام , وتركته لتلهو في
حوض وسط الضخور , حيث كانت
الأسماك الصغيرة تقفز بين أصابعها ,
وتمدد بول غير بعيد عنها فوق الرمال ,
ظهره للشمس ووجهه بين ذراعيه
المعقودتين , ولم تكن تدري ما إذا كان
مسترخيا ليأخذ غفوة حقا , أم أنه كان

خداع النمر الذي يفكر في مكيدة

لفريسته.

وأخذت دومي تعبت بحبات الرمال ,

وهي تفكر في الطريقة التي طوح بها بول

بلوحة باري قائلاً:

" أنا لا أهتم بوجودها في بيتي... يجب

أن تفكري يا عزيزتي في شيء آخر هدية

لي".

وفي الليلة الماضية , من شدة غضبها
منه , أرضت نفسها بأغلاق باب
غرفتها في وجهه , وتمددت متوترة ,
تنصت الى صوت حركاته في الغرفة
المجاورة , ولكنه لم يحاول أن يعالج بابها ,
وأنتهى بها الأمر أخيرا الى الأستغراق في
النوم , ولم تستيقظ إلا على صوت لينا
وهي تفتح الستائر.

ولم تكن لنا بالمرأة التي تبسم كثيرا ,
ولكن أبتسامة علفت بفمها وهي تتأمل
دومني وقد أفرش شعرها العسلي الغزير
الوسادة , وبدا لون جلدها العسلي
الشاحب منسجما في تناقضه مع لون
قميص نومها الأزرق , وجلست دومني
في سريرها , وقالت وهي تراقب لنا
تسكب لها شاي الصباح:
" كم تبدو الشمس رائعة! "

" هذه هي أجمل أيام الجزيرة طقسا يا
سيدتي ... العنب ينضج ويغمق لونه
والجبال تمتلئ بالمواشي وبالأنعام".
وسألت دومني وهي ترشف الشاي
الساخن:

" هل ولدت في الجزيرة يا لينا؟".

" أني من الجبال يا سيدتي , مكان قطاع
الطريق في الماضي , والأساطير الخرافية ,

تعرفين طبعاً أن الدماء الرومانية تسري
في عروقي؟".

وأومات دومني وهي مأخوذة بعض
الشيء بما كان يبدو على لنا من
معرفتها للأشياء الخفية في الحياة ,
وقالت لنا:

" لقد أعتدي على الجزيرة خلال الحرب
يا سيدتي عندما كنت صبية , وأحرقت

المزارع , ونهبت غابات الزيتون ,

وأخذت الفتيات أسيرات".

وشعرت دومني برجفة وهي تحديق في

خادمتها , وأضافت لنا بسرعة:

"كنت محظوظة , أذ خبأ جدي كل

أفراد الأسرة في كهف وسط الجبال ,

بينما حارب أبي وأخوتي , ولم يكن ذلك

آخر ما عانته اليونان , فقد قامت حركة

التمرد , ومن جديد المتاعب والمعاناة
والسلب والنهب".

قالت دومي برقة:

" لا بد أنها كانت مرحلة حزينة ومفزعة
لكم جميعا".

أبتسمت لنا بطريقتها الجادة وقالت:

" ولكنها أنتهت , والآن هنا في الجزيرة

يجد الناس السلام والعمل , والطعام

الكافي".

وتناولت دومي بعض الحلوى , ثم

ضحكت قائلة:

" بدأت أحب ألوان الطعام اليونان يا

لينا , جو جزيرتكم يفتح الشهية ."

ورمقت لينا سيدتها بنظرة متفحصة , ثم

ألتقطت فنجان الشاي الفارغ ونظرت

فيه فقالت دومي:

" هل ترين فيه أن أمامي يوما سعيدا؟".

وأرتجفت أهداب دومي وهي تلقي نظرة
سريعة على الباب المغلق بينها وبين بول
بينما قالت لينا وهي تتمعن في أوراق
الشاي:

" سيحدث شيء مزعج , أرى ذلك
بوضوح".
" عاصفة؟".

" سيحدث شيء غير سار يا سيدتي".
وأحتد صوتها وهي تستطرد قائلة :

" سيحدث هذا اليوم".

وسكتت عن الكلام عندما سمعت محاولة
لفتح الباب المغلق وأستدارت لتسمع
تكرار الصوت , وأحتقن وجه دومي
تحت وهج نظرات لينا المتعجبة , ثم
قالت:

" أفتحي الباب يا لينا".

وحيت لينا السيد تحية الصباح , ثم
أنصرفت من الغرفة على عجل , وبقيت

دومني في مكانها وقد شحب وجهها
بعض الشيء , وهي تنظر الى بول ,
كان يرتدي قميصا حريريا غامقا ,
وبنطلونا رماديا , وقال وهو يشير ناحية
الباب الذي فتحته لنا:
"أفعلني ذلك ثانية يا فتاتي , ولن أنتظر
حتى تسمح لي خادمتك بالمشول بيد
يديك , سأحطم الباب".

وكان يبدو غاضبا بما فيه الكفاية لأن
يفعل ذلك , أما دومي فقد تملكها
رغبة في الضحك , ورفعت يدها وعضت
على أصابعها عندما أقترب من سريرها
وبدا كقط هائج , ووقف يتأملها ,
ولمحت نظراته تنزلق من كتفها الى
الشيفون الأزرق الذي يغطي صدرها -
وأسرعت تحجب نفسها بالغطاء , ورفع
حاجبه لتصرفها , ثم أطلق ضحكة

قاسية عالية كشفت عن أسنانه البيضاء

, وقال:

" أغلق الأبواب , والتظاهر بالأحتشام

من شأنه أن يضاعف حرارتي لا أن

يخفضها".

وفي اللحظة التالية كان جالسا على

حافة السرير , محمقا فيها , كان وجهه

خاليا من التعبير , لم تعرف دومي ما إذا

كان متضايقا أو مسرورا , ثم قال وعيناه

فوق الخاتم الذهبي في يدها:

" أنا أدرك جيدا يا دومني أنك لا

تريديني , ولكن أخشى أن تكوني

مضطرة الى احتمال نوبات عاطفتي , وفي

أي حال يمكنك أن تواسي نفسك أنه

سيأتي يوم لن أكون فيه محتاجا اليك

أبدا".

وكان ينطق بكلماته ببرود وسخرية ,
ووجدت دومي نفسيها تجفل منه كأنه
صفعها , وأخذت كلماته تتردد في
ذهنها , وأسلمتها صراحتة الصارخة الى
حالة من الغضب , وقالت وعيناها
تقدحان لهيبا:

" فهمت يا بول , أفسدت حياتي لمجرد
أرضاء نزوة عابرة في حياتك سحقت
كبريائي , وأرغمتني على الزواج بك ,

لتمتلكني بعض الوقت لا غير , لقد
عرفت دائما أن هذه هي دوافعك
للزواج مني , ولكنني لم أتصورك قط من
القسوة فتصارحني بها".

وسكنت ريثما تلتقط أنفاسها اللاهثة ,

قبل أن تقول بغضب مليء بالألم:

" حسنا , وشكرا على أخباري , الآن

لن أهتم بأنه من الخطأ كراهية أنسان

آخر , سأشعر بأن في ذلك عدالة".

قال بكسل:

" أجل , دعي نفسك تشعرين بأن في

ذلك عدالة , شيء يدهش حقا كيف

أن مثل هذا التبرير يمكن أن يريح

الضمير".

" أشك في أن لك ضميرا ولكنني أعرف

أنك بدون قلب".

وبأبتسامة ماكرة تحسس عضلات صدره

, ثم أنحنى فوق المنضدة بجوار السرير ,

وأخذ الكتاب الموضوع فوقها , وفتحه

وأنطلق يقرأ جملة من رواية مترجمة الى

الأنكليزية لكاتب يوناني معروف اسمه)

نيكوس كازانتراكيس) , وسألها:

" هل في نيتك أن تكتشي عمق

الشخصية اليونانية؟".

أجابت برود:

" أنا أقرأ كازانتراكيس للتسلية , فهذا
بالنسبة الي هو الهدف الوحيد من قراءة
الروايات".

،

قال بول بأبتسامه باهتة:

" لكل شخص أسير ردود فعله في الحياة
, لذلك فهو لا يستطيع أن يتحدث
بلسان الجمع , (كازانتراكيس) يكتب

عن الحب كما لو كان سيفاً يغمد في
القلب , هل تعتقدون أنه على حق؟".
" لا أعرف".

قال وعيناه تضيقتان:

" مع أنك أحب , ألم تحبي يا دومي؟".
قالت ببرود:

" أن تقع في الحب , هو أن تسلم
نفسك لأهواء , ربما لقسوة شخص
آخر , وأنا لن أخاطر ثانية".

وأشار بول ناحية الباب الذي أغلقته في وجهه في الليلة السابقة , وقال :
" هل فعلت ذلك , لأنني طوحت بلوحة سوتيرن؟ ألم يكن ذلك عدم مبالاة فحسب؟".

" عدم مبالاة في مواجهة من؟".
وألتقت عيناهما ... وتراجعت دومني الى الوراء محتمية بوسادتها حينما أنحنى بول فوقها , وقرب وجهه من وجهها ثم نهض

واقفا , وقال وهو يعيد الكتاب الى
مكانه على المنضدة:

" علي أن أذهب لمقابلة شخص هذا
الصباح , ولكنني سأحرق بك لنتناول
الغداء معا على الشاطئ ... سأطلب
أعداد سلة طعام".
" كما تشاء يا بول".

وراقبته وهو يخرج من الغرفة , ويغلق
الباب خلفه , ووضعت ذراعا فوق

عينها , وظلت ساكنة عدة دقائق ,
لكنها لم تدرف الدموع , كان عذابها
أعمق من أن تنهمر له الدموع.
وبعد أفطار يوناني خفيف من القهوة ,
والفطائر والعسل , أخذت دومي كتابها
وخرجت الى الحديقة , حيث جلست
تحت عريشة ومن حولها شجر الفلفل
, والصنوبر , ومجموعة من الورود ذات
الألوان الجميلة , والرائحة الزكية.

وأستغرقت دومي في قراءة القصة وجاء
يانيس حوالي الساعة الحادية عشرة
حاملًا سلة الطعام التي أمر بها بول , ولم
تكن السلة ثقيلة , ولكن يا نيس أصر
على أن يحملها الى الشاطئ وكانت
دومي تشعر بأعزاز نحو خادم بول الجاد
,

الذي كان يستطيع أن يذكر كل أسماء
طيور الجزيرة وورودها النامية على جانبي

الممر المؤدي الى البحر , ولم يكن هو
وليتا قد أنجبا , وبدا لدومني أنهما
بطريقة ما ينظران اليها : طفلة , وكانا
يديران البيت بمهارة , حتى أنه لم يكن
لدى دومني ما تفعله سوى اكتشاف
الغرف الكبيرة , والسلاالم الملتوية المؤدية
الى مخازن الأمتعة القديمة .
وقالت دومني :

"كم تبدو الجزيرة هادئة وجميلة اليوم يا
يانيس".

ووقفت مبهورة أمام منظر البحر ،
وأشعة الشمس تنعكس فوقه والرمال
والصخور ، وأبتسم يا نيس وهو يرى
مدى أنبهار دومي التي أخذ النسيم
يداعب خصلات شعرها وصاحت وهي
تشير ناحية البحيرة التي ظهر فيها

الدرفيل يقفز كما لو كانت لها أجنحة ثم
يغوص في الأعماق.

" أوه , أنظر هناك يا يانيس! ".

وكانت دومني تأخذ حمام شمس عندما
لحق بها بول على الشاطئ , لم تسمع
وقع أقدامه وهو قادم فوق الرمال ,
لكنها أحست بظله الطويل فوقها ,
وعندما جلست ورأت وجهه , بدا لها
أنه مرهق وسألته:

" هل تريد الغداء حالا؟".

" كلا , ألا اذا كنت تريدين , أعتقد أننا

ربما نخرج في نزهة بحرية أولاً".

وقفزت قائلة:

" أنت على حق".

ومن جديد تمهلت عيناها فوق وجهه ,

وتبينت أنه يعاني من الصداع وأنه كان

يتمنى أن يخفف نسيم البحر من حدة

الألم , ولمست ذراعه بأصابع مرتجفة ,
وقالت:

" بول , ماذا يقول الأطباء عن
صداعك؟".

،
وواجهها بأبتسامة ساخرة , وعينين غير
مقرؤتين خلف نظارة الشمس , وقال:
" يا عزيزتي هل أنت فعلا مهتمة
بي؟".

" أنا لا أحب أن أرى أحدا يتألم".

ثم سحبت يدها من فوق ذراعه ,

وقالت:

" آسفة إذا كنت تطفلت".

" سيتلاشى الألم بعد فترة".

وقفز الى الزورق , وفك الرباط ودفعه في

المياه , وخلع قميصه وساعد دومني

على القفز بدورها , وظل ممسكا بها

لحظة , وهو يتسم مثل قرصان أغريقي
 , وهمس:

" أحيانا , يا أسيرتي الصغيرة , لا أظن
 أنك تكرهيني".

ورفعت بصرها نحوه , ومن جديد
تذكرت الكلمات التي تفوه بها في ذلك
الصباح , وقالت بفتور:

" أنا أبذل ما في وسعي لأنقاذ صفقة سيئة , لكنني أعرف الآن أن عقوبتي ليست مؤبدة".

وضحك وتركها , وقاد الزورق , ولفترة ظلت الدرا فيل تجذب أنتباه دومي , وأعادت لعينيها بريقهما , وصاحت ليصله صوتها خلال هدير المحرك :

" كيف حال صداعك ؟".

صاح بدوره من فوق كتفيه :

" أحسن كثيرا... الدرافيل تجيد
اللعب... هيه؟ أنظري الى ذلك
البرونزي اللون!".

وكان الدرافيل الضخم كبيرا , حتى أنه
أستطاع أن يميل الزورق عدة مرات
, وأوشك أن يلقي دومني في الماء ,
وضحكت من أعماقها , ولكن بول
حذرها قائلا:

" لا يوجد فقد درافيل في هذه المياه".

وكان يقصد سمك القرش , ورفض أن
يدع دومي تقفز للسباحة حتى يدخل
منطقة الأمان في البحيرة , حيث
الأسماك صغيرة جدا , ولا تجذب
الأنواع المفترسة .

وعادا الى الشاطئ , وجلست دومي
على صخرة , شاردة تماما مع أفكارها ,
فجفت الرمال بين أصابعها , ونهضت
وركضت في اتجاه المياه لتغسلها , لكنها

أحست بشيء ما يطعن باطن قدمها
اليسرى , فأطلقت صرخة ألم.
وأتضح أنها داست فوق قنفذا مائي
صغير , وتبينت أن بعض الشوك نفذ
تحت الجلد , وكانت دومني تعرف أنها لا
بد أن تتقيح إذا لم تنزع , وجلست فوق
صخرة قريبة , وحاولت أن تنزع الشوك
بأظافرها.

وجاء بول بجانبها متسائلا:

" ماذا فعلت؟".

وأخبرته, فركع أمامها , وأمسك بقدمها
الصغيرة في يده.... وبعد لحظة نظر
اليها قائلاً:

" لا بد من نزع الشوك بملقاط....
لكن إذا سرت على قدميك ,
فستغلغل الأشواك داخل جلدك ,
تعالى , سأحملك حتى البيت".

وضحكت بعصبية وهي تبتعد عنه

قائلة:

" لن يمكنك أن تصعد بي التلة يا بول ,

أزداد وزني منذ جئت الى اليونان".

" أما زلت تشعرين بالتوتر معي يا

دومني؟".

وعبر بها الشاطيء , ومنه تحت قوس

الكهف الموصل الى البيت وأحست

بخفقات قلبه كاللمسات , وفجأة وكما

حدث في المركب منذ ساعة أو أكثر ,
أحست في كيانها ضعفا ,
وبدأت تدرك حقيقة لم تكن واضحة بعد
في ذهنها , ولكنها في المركب أستطاعت
أن تهرب من رقابة بول في الجانب الآخر
, أما هنا بين ذراعيه... فكانت أسيرة ,
وأزدادت ظلمة الكهف , وهما يتوغلان
داخله , وفجأة ,

مثل زئير حيوان مختفي , ترددت أصدااء
من فوقهم , وأصوات ضوضاء مخيفة ,
وتسمر بول في مكانه , وقد ازداد
ضغط ذراعيه حول دومي , التي
أمسكت بكته العاري بقوة , وغرست
دون وعي أظافرها في جلده وهي تقول:
" ما هذا يا بول؟".

ولم يجيبها في الحال , لكنه ظل يرهف
السمع , وهو يحدق كالقط في وجود

الخطر المفاجيء ومن جديد أرتفع صوت
شيء يتصدع , وأهتزت الأرض ,
وأوقف بول دومني على قدميها وقال
ملهوفا:

" أركضي يا صغيرتي , الكهف سينقض
علينا "

،

وخفق قلبها وهي تركض , كانت تعرف
أنهما على بعد دقائق من الباب الذي

يمكن أن ينقذهما من الخطر المحدق
بالكهف , ويوصلهما الى البيت ,
ومن جديد أرتفعت أصوات التصدع ,
وكانت دومي تنظر الى فوق مذعورة ,
عندما أنفتح سقف الكهف وتهاوت
الصخور وقذفت بها على ركبتيها ,
وأرغمتها على إطلاق صرخة , سرعان
ما خمدت وسط سيل الغبار والألم.

.....نهاية الفصل

العاشر.....

11-وفقدت الطفل

.....

كانت غرفة مكتب بول ظليلة ، وقد

أضفى عليها السقف المنحوت من

الخشب ،

والجدران البيضاء ، جواً من الهدوء ولم
يكن له صدى لدى الرجل الذي كان
يذرعهها ذهاباً وإياباً كالثور الهائج .

وكان قد مضى وقت طويل منذ أن غير
ملابسه الممزقة ، وضمد له يانيس جروح
يديه ، ذلك أن الطبيب كان مشغولاً في
الدور العلوي ، وقد بدأ لبول أنه
أنقضت عليه ساعات هناك .

وألقى بسيكاره . . قبل أن يكمله ،
وخرج إلى الشرفة التي لم يكن يفصلها
عن الصخور والبحر الداكن سوى سور
حديدي رقيق ، كانت النجوم تلمع في
السماء ، وقد أنتشرت في جو الليل
الرطب رائحة الصنوبر
أشبه بالمسك المعطر ، وكانت أنوار
مراكب الصيد تبدو على مرمى البصر
متناثرة ، كالطيور المشتعلة ، وأتكا بول

بيديه المجروحتين المضممتين على السور
الحديدي .

،
ولو كان ذلك يسبب ألماً ، فلم يكن
يظهر عليه أنه يشعر به ، كان يقف
منتظراً ،

وهو يتأمل أمواج البحر تتهامس عندما
تلتقي بالصخور .

وأحس بول بوقع خطوات فوق السجاة
التي تغطي أرض الغرفة وشعر بوجود
الرجل ورائه أكثر مما سمعه .

وأستدار بسرعة ولم يكن من المستطاع
رؤية تعابيره ، لأن الظلمة كانت كثيفة ،
وصاح بول باليونانية :

(أخبرني ، كيف حالها الآن يا ميتروس ؟

(

وألقى الطبيب اليوناني نظرة على الحاجز
الرقيق الذي يفصل بين بول ستيفانوس
والتلال التي تنتهي بعيداً بالصخور
المتحطمة ، وقال :

(أدخل يا بول . نستطيع في الداخل أن
نتحدث أفضل) .

(ماهي الحقيقة يا ميتروس ؟ هل تخشى
أن تتحطم روحي تماماً ؟ هل ماتت ؟)

.

وأمسك ميترس بذراع بول ودفعه إلى

الداخل وهو يقول :

(لا نستطيع أن نتكلم هنا) .

وأغلق النوافذ وأسدل الستائر . وصاح

أمراً :

(النور يا رجل . . . النور) .

وأضيء نور فوق المكتب ، فألقى ظللاً

من زاوية غريبة على وجه بول ، أظهرت

شموخ وجنتيه ، وكانت الندبة داكنة

، وحدودها واضحة ومحتقنة .

والتقط بول أنافسه بصعوبة وقال :

(دومني . . لم تسترد وعيها ، ألم تطلب

أحداً ؟)

(زوجتك لم تمت) .

وملاً الطيب كأساً صغيرة ، ووضعها في

يد بول مستطرداً :

(تعال ، أشرب هذا يا صديقي) .

وبهزة من رأسة الداكن رفض ، وأعاد
الكأس ، ثم حلق بعينه النمرتين في
الطيب متسائلاً :

(ما الذي فعلته بها كل هذه الصخرة ؟

هل ستصبح مقعدة ؟)

وكان للطيب وجه طيب ، تحت شعر

داكن تتخلله شعيرات رمادية ونظر إلى

بول ، وأخرج سيكاره ووضعها بين

شفتيه ،

وأطلق دخانها ، ثم قال في هدوء :
(زوجتك الشابة الجميلة فقدت الطفل
(.

ونظر بول إلى ميتروس مشدوها ، وقال
:

(ماذا ؟ ، ولكن ، أنا ، أنا لم تكن لدي
فكرة ، طفل ؟ ، أنها لم تخبرني بشيء) .
وتفحص ميتروس بول ، ثم قال :

(ربما لم تكن متأكدة ، عروس شابة ،
بعيدة عن أهلها ، ثم أن الحمل كان في
شهرين فقط) .
(شهرين) !

،
وصمت بول كأنه ينظر إلى الورا ،
ويعود بذاكرته إلى أول ليلة أمضاها مع
دومني ،

وخيمت على عينيه سحابة حزن .

وربت ميتروس على ذراعه قائلاً :

(إني آسف ، فهذا الطفل بالنسبة إليك

يعني الكثير ، أعرف ذلك . ولكن الفتاة

ستغلب على الصدمة ، وتستطيع أن

تنجب أطفالاً آخرين ، الوقت أمامكما

.)

(كلا ، لن تكون هناك فرصة أخرى .

.. الطفل الذي كان يمكن أن تحبه

، ذهب ، ذهب مثل السعادة ، مراوغاً ،
ولن نعثر عليه ثانية معاً) .

وقال ميتروس بغضب :

(يا لها من طريقة يتحدث بها رجل !

هذه المرأة يجب إلا تحرم من طفل
تحبه .

قاطعة بول قائلاً بمرارة :

(طفل ؟ يا صديقي ، تلك المرأة

تكرهني ، تكره رؤيتي ، وصوتي ، ولمستي

، أنت تبدو مصدوماً ، ولكن
أؤكد لك أن هذه هي الحقيقة ، وعندما
تعيش مع هذه الحقيقة جنباً إلى جنب
لمدة شهرين كاملين بإستثناء ساعات
قليلة عابره ، فإن الشك لا يساورك ،
إنها نظرة في العينين ، رجفة عندما
أحاول اللمس ، حشرجة في الصوت
تخفي دموعاً لم تكن تعرفها قبل أن تلتقي
بي ...

(إنها زوجتك يا بول) !

(أنت يوناني يا ميتروس ، وتعرف مثلي

تماماً أن المرأة لا يدخل الحب في حسابها

دائماً عند الزواج) .

(أنا . . . أنا أفهم) .

وأطفاً الدكتور ديميتريوس سويزا سيكارتته

، واستطرد يقول :

(هل لهذا الموقف دخل برفضك إعاد

التفكير في قرارك الآخر ذلك الذي

ناقشناه في عيادتي صباح اليوم ؟)

(ليس تماماً ياميتروس)

ونفض بول من أمام مكتبة ، وخطأ نحو

الباب قائلاً :

(والآن ، هل أستطيع أن أصدق لآرى

زوجتي . ؟)

(إنها تحت المخدر يا بول ، وستنام حتى
الصباح الغد ، تركتها في رعاية ليتا ،
ولكن تستطيع طبعاً أن تلقي عليها نظرة

وتقدم ميتروس من بول ، ولأنه كان
أقصر منه قامه ، تطلع إليه قائلاً :

(حاول أن تنام يا صديقي ، الفتاة شابة
، وسليمة البنية . . . وستسترد صحتها
بسرعة .

(هل ستأتي مرة أخرى في الصباح يا

ميتروس ؟)

(بالطبع) .

وتخللت أصابع بول شعرة الداكن ،

وقال :

(لو أنني تقدمت دومني في الخروج من

الكهف ، إذن لتلقيت أنا إهتبار الصخرة

،

ولكني طلبت منها أن تركض أمامي
معتقداً أنها ستصل إلى الباب في الوقت
المناسب .

(يجب ألا تلوم نفسك على ذلك) .

وصلاً إلى الصلاة ، فأخذ ميتروس
حقيبته السوداء ، وسترته وتصافحا أمام
الباب .

ثم صعد بول إلى الدور العلوي ، وبهدوء
دخل غرفة دومني ، حيث جلست ليتا

على مقعد بجوار السرير ، تشغل نفسها
بشغل التريكو على ضوء خافت .
وأقرب بول من السرير حيث كانت
دومني ضئيلة للغاية ، تائهة بتأثير المخدر
الذي أعطي لها عقب سقوط الصخرة
فوقها ،

وفقدت الطفل ، وكانت أهدابها الطويلة
ترسم خطين داكنين فوق وجنتيها ويدها

اليسرى فوق الغطاء ،وقد بدى الخاتم
الذهبي ثقيل على الأصبع النحيل .
وكان السكون في الغرفة شاملاً ، إذ
كفت ليتا عن تحريك أبر الشغل
،وحيئذ قال بول بصوت خافت :
(يمكنك أن تذهبي لتستريحي يا ليتا ،
سأبقى هنا) .

وترددت المرأة ، ولكن كان واضحاً
من وجه بول أنه مصمم على البقاء

لذلك خرجت بعدما ألقى نظرة على
دومني ، ولكنها لم تتوجه مباشرة إلى
سريرها ، بل اتخذت طريقها إلى الدور
السفلي ، حيث أعدت لبول فنجان
قهوة تركي داكن ، ووضعت على
الصينية بعض البسكويت ، ثم حملتها إليه
.

وكان قد وضع مقعداً بجانب الفراش
حيث جلس ووضعت لينا

الصينية في تناول يده ، ثم تركته وحده
مع زوجته النائمة .

وعندما تحركت دومي كانت أشعة
الفجر تشق الظلام ، وأحست أحساساً
مبهما بوجود شخص معها ، يساعدها
على الجلوس

لتبلل حلقها الجاف بقطرات من عصير
الليمون ، كان كل جسمها يؤلمها

وشعرت بثقل رأسها ، وتساءلت

وهمست :

(شكراً) .

لم تكن قادرة على رفع جفنيها ، لكنها

أحست بكتفيه فوقها أشبه بالجناحين

واستغرقت في النوم من جديد قبل أن

تستطيع التفكير فيمن يكون هذا

الشخص ، وعندما تبهت من جديد

، كانت ليتا هي الموجودة ، ومعها رجل

طيب المحيا هو الدكتور ديميتريوس سويزا

وبعد ثمانية أيام كان يتناقش معها في

حالة الإجهاض التي تعرضت لها ،

وشرح لها أن الصدمة هي التي سببت لها

هذه الحالة .

وجلست دومي ساكنة تماماً ، مستندة

على وسائد الإريكة .

ففي الحادثة كان أول احساسها بوجود
الطفل ، ولكن عقلها لك يكن قد تقبل
الحقيقة بعد . . .

والآن . . . فات الأوان لأن تفرح أو
تحزن .

وقالت بهدوء :

(كان بول يتمنى الطفل ، لابد أنه
تضايق عندما أخبرته بأنني فقدته) .

(أنا متأكدة أنه كان سيهتم أكثر لو أنه
فقدك) .

ورغم أن أنكليزية الطبيب لم تكن في
طلاقة انكليزية بول ، إلا أن دومني
فهمت كل كلماته المهذبة ، ثم أخذت
تفحص ساكنة يديها المعقودتين فوق
ثوبها الحريري الطويل ، وتأملها الطبيب
وتعجب من رصانتها ،

فالفتاة اليونانية لا بد أن تبكي بحرقة
لفقد طفلها الأول ولكن هذه الأنكليزية
الجميلة الفاترة جلست بعينين جافتين ،
وقد بدت كأن الأمر لا يحركها وأشعل
ميتروس سويزا سيكاره وهو يفكر في أن
الأمر لا بد أن يكون كما زعم بول ،
هذه الفتاة ذات العيني الزرقاوين
الغائرتين ، والرأس الملكي ، لم تكن تحب
زوجها .

وكانا يجلسان في الشرفة ، حيث قدم
لهما يا نيس الشاي التركي في أوكواب
طويلة ، مع شطائر و فطائر وحلوى ،
وكان بول قد ذهب في سيارته إلى عمته
، لكي يحضر كارا ، وعندما رأى ميتروس
أن دومني تكتفي بشرب الشايولا تمد
يدها لتملأ طبقها ، قال لها :
(يجب أن تحاولي أكل بعض الشطائر ،
سأخدمك بنفسني) .

(لست جائعة يا دكتور) .

(ولكنك يجب تحاولي يا أبنتي ، وإلا
استغرقت وقتاً طويلاً في الشفاء . هاك
شطيرة دجاج ، وآخري بالجن ، وأنا
أصر على أن تأكلي) .

وكانت طيبة الطبيب ومودته لا يمكن
أغفالها ، ووجدت دومي نفسها تأكل
، وتبادل معه بعض انطباعاتها عن بلاد

اليونان ، وعلمت منه أنه أرمل ، وله ابن
واحد يدرس الطب في أثينا .
وقال الدكتور سويزا مبتسماً :
(لن يسره أن يعمل طبيباً في جزيرة ،
أما أنا ، فالعمل يلائمني هنا ، أمارس
مهنتي في عيادة الأطفال التي تبرع بها
زوجك والمرضى الأثرياء مثله يعاونون في
دفع نفقات غير القادرين) .

(هل تعالج بول يا دكتور من صداعه)

وكان الطبيب يهم بإختيار فطيرة ،
وظلت الشوكة بين أصابعه على الاقل
لمدة دقيقة ، وأخيراً بعدما وقع أختياره
على القطعة التي يريد لها أثر تباطؤ لا
يقتضيه مجرد الإختيار ، رفع عينيه نحو
دومني وسألها :

(هل حدثك بول عن صداعه ؟)

(ليس تماماً . . . يبدو متضاداً لكما
فتحت الموضوع ، لأنه قوي للغاية فيما
عدا هذا الصداق . لذلك أعتقد أنه يكره
الإعتراف بناحية ضعف لديه) .
وتشاغل الطيب يأكل الفطيرة ،
وبمشاهدة النحل يمتص الرحيق من
الإزهار التي تتسلق الجدران ، ثم قال
فجأة :

(ربما ، فبول يوناني للغاية ، واليونانيون

ليسوا سهلي الفهم أنهم أشبه بجبال

الجليد التي يظهر منها جزء بسيط فوق

السطح ويختفي الأكثر في الأعماق) .

همست دومني :

(جبال الجليد يمكن أن تسبب الكثير

من الأضرار) .

(ولكنها يمكن أن تذوب إلى درجة

حرارة عالية) .

وضحكت دومي ، وابتسم الطبيب
للرنين وللحيوية والجمال التي أضفتها
الضحكة على الوجه الذي لم يكن قد
عرفه إلا

متألماً . . . فاتراً . . . رصيناً . . .
ولمعت عيناه ، وأدرك أنه أخطأ في
إعتقاده أنها باردة ، كم كانت عينها
تعكسان زرقة السماء والبحر ، وكم كان
فمها لذيذاً ، لم تكن سوى طفلة ،

حساسة ، خجول ، وليس من النوع
الذي يستطيع أن يفصح عن مشاعره .
وأنتنى إلى الأمام ، ونظر إليها مباشرة ،
وقال :

(لا توجد سوى شعلة واحدة يمكن أن
تقهر كل شيء ، وقليلون يستطيعون
التصدي لها) .

(هل هذا لغز يا دكتور ؟)

(ممكن يا صغيرتي أن تطلق عليه وصف

لغز ، أنه أعقد ما في الدنيا ، ولم تفك

طلاسمه تماماً رغم مرور كل هذه السنين

منذ

قدمت حواء التفاحة المحرمة لآدم .

،

وتشابكت يدا دومي ، كان كل منهما

تجد الراحة لدى الأخرى . . . وقالت :

(فهمت ، أنك تتكلم عن الحب يا

دكتور) .

(أأست متفقه معي أنه موضوع سآحر ،

يا سيدتي ؟)

وأشآحت بنظرها بعيداً ، وتساءلت إذا

كانت في غيبوبتها أفضت إليه بمكنون

نفسها ،

كان طيباً ، وناضجاً ، وكان يذكرها

بعض الشيء بالعم مارتن ، ولكن أن

تفضي لآخر بأسرارها كان راحة وقتيه
يعقبها الضيق والندم .

ونظرت دومني إلى الطبيب ، وأحست
من نظرة عينيه أن يعرف شيئاً ، هل تراها
ذكرت باري خلال ساعات الغيبوبة بعد
الحادثة ؟

ونفض الدكتور سويزا واقفاً ، معلناً أن
عليه زيارة مرضى آخرين ، وعندما

أمسك بيد دومي ، كان لضغطة عليها

معنى ، وابتسم قائلاً :

(يجب أن نتحدث معاً مرة أخرى ،

قريباً عندما تشعرين على استعداد ؟)

(نتحدث عن ماذا يادكتور ؟)

(عن الأشياء التي لا تستطيع أن نهرب

منها يا طفلي ، والأشياء المحتممة الولادة

. . . والحب . . . والموت) .

وحدقت فيه بعينها لحظة ، ثم أحنى
رأسه الرمادي وقبل يدها وحياتها
باليونانية ومضى .

وبعد نصف دقيقة خلت الشرفة إلا من
وجودها ، وجلست ساكنة تماماً ، وقد
تملك عليها أحساس غريب بالوحدة ،
وكان

البيت كله غارقاً في الصمت ، كانت
فترة القيلولة ، التي يخلد فيها الجميع إلى

الراحة ، حتى الطيور تبدو هادئة

منكمشة فوق الإغصان .

واسترخت دومني في جلستها ،

وأغمضت عينيها ، وسمعت حفيف

أشجار الصنوبر ، وهمس أمواج البحر

، وبدأ لها كما لو كان طفلها الميت يدق

على قلبها ، لقد ذهب الحب الذي كان

يمكن أن يأتي به ، وأن يمنحه ، وانحدرت

دمعة على خد دومني .

وتأملت لفترة قصيرة ، واستيقظت فجأة
وهي تشعر بالبرد .

لم تعد الشمس تضيء الشرفة ،
ولاحظت أنه خلال غفوتها ، زحف
الضباب الذي كان يعلو البحر وغطى
الجزيرة كلها ، وكون حزاماً حول البيت ،
وكانت دومني قد نبهت إلى توقع مثل
هذا الضباب ، ولكنها لم تكن تتصور أنه
يمكن أن يصل إلى نهاية الأريكة

، وذهبت إلى نهاية الشرفة لتنظر من
فوق الصخور إلى البحر ،
ولكنها بصعوبة استطاعت التمييز ، وأن
سمعت صوت تلاطم الأمواج وزحف
الضباب ببطء ليلامس شعرها . .
. وساورها أحساس بأنها معلقة مع البيت
في السحب .

وسمعت وقع أقدام ولكن عندما ألتفتت
سريعاً ، وجدت يانيس قادماً في إتجاهها
، وصاحت :

(يبدو أننا منعزلون هنا يا نيس) .

وأوماً بجدية قائلاً :

(نعم ، يا سيدتي ، الرطوبة شديدة هنا

في الخارج ويجب أن تدخلي) .

(سأدخل يا يانيس) .

وأشعرها اهتمامه بالدفع ، وقالت :

(هنا ، فوق أشعر كأني هيلين تسير

على أسوار طروادة ، هل تعتقد أن

الضباب سيتسمر طويلاً ؟)

(بضعة ساعات يا سيدتي) .

(أوه . . . إذاً فسيؤخر ذلك عودة

زوجي وأخته ، إلا تعتقد ذلك ؟ الطريق

الموصلة إلى هنا ملتوية ومنحدره ، ومع

صعوبة الرؤية

بسبب الضباب ، لا أعتقد أن بول
سيجازف بقيادة السيارة ومعه أخته) .
(أشك في ذلك يا سيدتي) .

،
وأمسك يانيس بالباب ، ريثما نفذت
دومني إلى الداخل ، حيث وجدت
المدفأة موقدة ، وتقدمت منها فرحة
وهي تجمع أطراف ثوبها ، ولم تستطع
بسبب جروحها أن تنحني كما كانت

تحت لتستمتع بدفئها ، فجلست على
مقعد بول ، ومدت يديها لتدفئهما ،
وكانت ليتا تعد عشاء خاصاً إحتفالاً
بقدوم

كارا، ولما كان من الأرجح أنهما
سيتأخران بسبب الضباب ، أخبرت
دومني يانيس أنها ستتناول شيئاً خفيفاً
بجانب المدفأة حاوي الساعة السابعة
، وأضافت أنها ترجو إلا يضايق ليتا

التأخير في تقديم الوجبة الخاصة

بإستقبالهما .

وابتسم يانيس وهز رأسه قائلاً :

(سعادتنا في أن تستردي صحتك من

جديد ، هل تحبين فنحان شاي الآن ، يا

سيدتي ؟)

وأومأت بالشكر والقبول ، بينما

أغرورقت عيناها بالدموع وهي تراقب

يانيس عند خروجه من الغرفة وبدلت

دومني جهداً في مقاومة الدموع التي
أحست بالرغبة في ذرفها ، وكان فنجان
الشاي ممتعاً ، بجانب المدفأة حيث
مدت قدميها ، وكان الضباب قد امتد
أكثر ، وسمعت دومني دقائق الساعة ،
وقررت أن تصعد إلى غرفتها لترتدي ثوباً
.

كانت تشعر بالإرهاق ، ولكنها
صممت على إلا تأوي إلى الفراش

، فالضباب كان يمكن أن ينجلي في أية
لحظة ، وسيكون ترحيباً أنيقاً لكارا وبول
أن يجداها في إنتظارهما .

وارتدت ثوباً أزرق طويل الأكمام لتخفي
جروح ذراعيها عن عيني كارا لئلا تزيد
من قلقها ، ولحمت وجهها شاحباً في المرأة
، ووجود هالات سوداء حول عينيها ،

استعملت أدوات الزينة لإخفائها ، وبدأ
لها الثوب متواضعاً بعض الشيء
واحتاجت لعقد يضفي عليه رونقاً .
وفتحت الدرج الذي تحتفظ فيه
بمجوهراتها ، ووجدت بدلاً من العلبة
الجلدية البسيطة

صندوقاً رائعاً حفرت عليه أشكال طيور
، وأصداف . وفتحت دومي الصندوق

أجل . . . كانت مجوهراتها فيه ، مرتبة
في أدراج دقيقة الصنع أشبه بالإعشاش

كان الصندوق الأثري لحفظ المجوهرات
هدية من بول ، تعبيراً صامتاً عن مشاركته
ومودته ، لأنه طيلة الأيام الثمانية
المنصرمة ،

لم يذكر مرة واحدة شيئاً عن فقد الطفل
، وكان تصرفه في الواقع تجاهلاً غريباً .

ولمست هديته ، وهي تشعر بهجة لم
تتغلغل داخل قلبها ، وأخرجت العقد
البسيط الذي كان ملكاً لأمها ، والذي
لبسته يوم زواجها ، الآلى تعتبر دليل
نحس للعروس ، لكنها توقعت دموعاً
بعدد حبات العقد في ذلك اليوم ، لم
يكن يهمها أنها تتحدى القدر .
في طريقها إلى الدور السفلي ، توقفت
أمام النافذة ، وأطلت منها ورأت أن

الضباب ما زال يغطي المكان كله
، ولحت الاشجار في الغابة أشبه
بالإشباح ، وشعرت بالبيت خالياً ، خاوياً
، وسرت إذ وجدت يانيس في غرفة
الجلوس ، يسدل الستائر ، وكانت
الأنوار مضاءة ونار المدفأة مشتعله .
وبدا لها أن التوتر يفقد حدته بتأثير
دفع هذه الغرفة وأناقتهوا بتسمت
وهي تشم رائحة الورد التي وضعها يانيس

على منضدة قرب المدفأة ، وفتحت
الراديو فانسابت منه ألحان الفرق . .
وتهالكت دومي على المقعد الذي قدمه
يانيس ، وقالت :

(أما زال الضباب كثيفاً) . ؟

وسكب له كأساً من الشراب وقال :

(ما زال على حاله يا سيدتي) .

وتأملت كأس الشراب اليوناني الذي

كان بول يقول دائماً أنه يجب أن يؤكل

معه التين وفتائر العسل ، لأنه ما من
مأدبة عشاء في القديم كانت تكمل
بدونه أبداً .

،

وشعرت برجفة إذ بدأ لها أنها تسمع
ضحكته ، ودفأت نفسها برشفة . . .
وسمع يانيس يقول وهو يحرك نار المدفأة
لتزداد اشتعالاً :

(أنا متأكد أن السيد ستيفانوس لن
يخاطر بالعودة في هذا الضباب يا سيدتي
،والآن سأحضر لك الشورباء) .
وتناولت دومني الطعام لتسعد يانيس و
زوجته ،وليس عن شهية ، ورفعت
المائدة ، وكانت تشرب القهوة وهي
جالسة على مقعد بول ،عندما سمعت
طرقاً عالياً على الباب الخارجي ،وخفق
قلب دومني اضطراباً ، وكانت قد

وقفت عندما فتح الباب وأقبل نيكوس
ستيفانوس مسرعاً ، يتبعه باري سوتيرن .

.....نهاية الفصل 11.....

12- بين الكبرياء والحب

.....

تقدم نيكوس بشعره الأسود المجعد من

رطوبة الضباب ، واتجه إلى (دومني

مباشرة) وأمسك بيديها ، كانت يداها

باردتين مرتجفتين في يديه ، وأدركت أن

شيئاً مزعجاً قد حدث ، وانتقلت
عيناها إلى باري ، كما لو كانت تستنجد
به ، ثم قالت لنيكوس :
(كارا و بول) أليس كذلك ؟ هل قتلا
في حادث سيارة ؟ وعض نيكوس شفته ،
بينما دس باري يديه بعنف في جيبي
سترته .

وبدت عيناها داكنتين وهما تلاقيان عيني
دومني التي صاحت وهي تغرس أظافرها
في يدي نيكوس :

(أخبرني !)

(كارا بخير ، وأنه بول ، نقلوه إلى
المستشفى).

تلاحقت أنفاس دومني تسأل :
(هل أصيب بسوء)؟

وألقى نيكوس نظرة إلى باري ثم ساعد

دومني على الجلوس

وقال :

(لقد نقل بول مريضاً إلى المستشفى

وحالته خطيرة).

ووضع باري يداً فوق كتفها ، وباليدي

الأخرى قرب حافة الكأس من

شفتيها وهو يقول :

(أشربي هذا).

وشربت ، مدركة أنه أعطاها شراباً قوياً
لأن نيكوس كان على وشك أن يضيف
ما هو أسوأ مما قاله ، ووقف نيكوس
ينظر إليها بوجه شاحب ومكتئب ،
وقال :

(ليس من المتوقع أن يعيش ابن خالي ،
الأطباء يعطونه بضع ساعات فقط
وفكرت أنك لا بد تريد أن تكوني إلى
جانبه يا دومني).

وحملت في نيكوس ذاهله ، بول يقترب
من الموت؟ شيء لا يصدق ، واستطرد
نيكوس يقول :

(لم يكن من الصواب أخبارك نبأ كهذا
هاتفياً . وكان باري معنا في البيت ،
فجئنا بالسيارة ، كان الضباب المنخفض
سيئاً ،

ولكن الرؤية الآن أكثر وضوحاً .)

الضباب ؟ وما أهميته ؟ وقفزت وافقه
لمحت يانيس يقف قلقاً على عتبة الباب

وكان واضحاً على وجهه أنه سمع ما قاله
نيكوس عن بول ، وانطلق يهز رأسه وهو
ذاهب ليحضر لها معطفها ووشاحها ،
ذلك المعطف الجميل الذي ساعدها
باري على أرتدائه ، ووقف يغلق أزراره لها
، ثم رفع ياقته حول رأسها الذي لفته

بالوشاح الذي كانت قد اشترته من
البلاكا .. البلاكا التي اكتشفتها مع بول
.. بول .. يموت !

ووجدت نفسها تستقر في السيارة
بجانب باري على المقعد الخلفي , ووقف
يانيس ولينا على باب البيت الخارجي
يراقبان في صمت كشبحين .

بينما كان نيكوس أمام عجلة القيادة ،
يلف ليتجه نحو الطريق المنخفض . وكان

رأس لنا ملفوفاً بوشاح أسود ، وعيناها
دامعتين . وظلت عينا دومي جافتين تماماً
، ولكنها كانت تشعر بهما أشبه بجمرتين
في رأسها وأحست كأنها ظلت تتخبط
وسط الضباب فترة طويلة ، وبدأت أخيراً
ترى بوضوح .

،
عرف بول منذ شهر أن هذا العرض
أصابه .. نوبات الصداع كانت نذير

..وكانت أيضاً الدافع وراء بعض أقواله
وتصرفاته .

بول كان يعرف منذ فترة أنه سيموت !
وأحست دومني بيد باري تغلق في دفء
على يديها مواسية . بينما كان نيكوس
يتقدم ببطء في الطريق, وتحرك إلى الأمام
ياردات عدة، ثم أوشك على التوقف
عندما قارب أعشاباً

في منحني شديد ، وتذكرت دومني ليلة
سابقة كانت تجلس بجوار بول وهو يقود
السيارة في هذه المنطقة ، لقد شعرت
وقتذاك أنهما معلقان في النجوم ، والآن
لم يكن هناك نجوم ، الضباب وحده
وأشباح الأشجار .

وبعد فترة قال نيكوس أنه أستطاع أن
يلمح الفئار الذي يقع في منتصف
المسافة بين أنديلوس وجزيرة مجاوره ،

وأن ذلك يعني أنهم يقتربون من الميناء ،
ومن المستشفى .

وخفق قلب دومي عنيفاً سريعاً بتأثير

التوتر النفسي والعقلي ، ومالت على

كتف باري ، مقدرة رفقة الصامته ،

القويه ، ما الذي كان يفكر فيه وقد

جلس ممسكاً بيدها ؟ أن القدر يلعب

دوره ، وأنه يجمعهما متقاربين ثانية ..

والحياة توشك أن تفارق الرجل الذي
وقف بينهما؟ وقطعت دومي الصمت
وقد انفك رباط حلقها وقالت :
(ماذا حدث يا باري ؟ هل كنت في
بيت العمه صوفيولا عندما .. عندما
سقط بول مريضاً؟

(كنت في الخارج في نزهة بحرية مع آل
فانهورن والكسيس .. وبدأ الضباب
يتكاثف ، وحينئذ عدنا إلى الميناء ..

وتناولت والكسيس كأسا عند آل
فانهوزن ، ثم رافقتها حتى البيت لأن
تكاثف الضباب بدأ يزداد ، ووصلنا إلى
البيت في لحظة كانت سيارة الأسعاف
تنقل بول ، وقد ذهبت كارا وعمته معه
، وكان نيكوس في البيت فشرح لي
ولألكسيس الموقف .
وهمست دومني وهي تتصور حالة الفتاة
التي كانت تحب بول كثيراً:

(مسكينه الصغيرة كارا ، لا بد أنها
صدمت صدمة شديدة).

وقال نيكوس وهو يدقق النظر من
خلال أنصاف الأمتار التي تتركها
مساحات السيارة خلفها:

(ذهبت معه دون دموع ، بدت وكأنها
كبيرة فجأة).

بلا دموع ، لأن اليونانيين الذين يكون
فرحاً ، يواجهون الكوارث في صمت

والألم يحرق قلوبهم . وفكرت دومني أنه
من الأشياء الطيبة ، أن كارا ستجد
نيكوس بجانبها .

،

واستغرقت رحلتهم إلى المستشفى وسط
الضباب ساعتين ، ولكنهم أخيراً وصلوا
إلى فناء المبنى وساعد نيكوس دومني
في الخروج من السيارة ، وسار الثلاثة إلى
الداخل ، حيث وجههم موظف

الأستقبال نحو السلم المؤدي للطابق
الذي يرقد السيد ستيفانوس في إحدى
غرفة الخاصة .

وكان ضوء الممر خافتاً ، وغرفة بول في
منتصف المسافة ، وعندما اقتربوا من
الباب ، كانت ممرضة تخرج حاملة صينية
فوقها أدوات مغطاة بغطاء أبيض ،
واتجه نيكوس إليها ، وسألها إذا كان من
الممكن أن تدخل زوجة المريض لتراه

، واستدارت الممرضة نحو دومي وقالت
لها شيئاً ، لكنها كانت تتكلم اليونانية ،
وكان على نيكوس أن يشرح لها أن
السيدة ستيفانوس انكليزية ، ثم أخبر
دومي أن الأطباء حالياً مع بول ، وأن
عليها أن تنضم إلى الأقارب الآخرين في
غرفة الأنتظار ، وهناك وجدوا كارا
وعمتها ، وقفزت كارا وهرعت نحو
دومي ، عيناها أشبه بعيني ظبي مطعون ،

داكنتان وكسيرتان وحزبتان ، وهتفت

بيأس :

(آوه ، دومني ، ماذا سنفعل بدون بول

؟)

واحتضنت دومني الفتاة بقوة ، ولكن لم

يكن لديها أجابه لكارا ، لم يكن لديها

إجابة لنفسها .

وظلوا في الإنتظار ، لا يتحدثون كثيراً ،

بينما كانت ساعة الحائط تدق بانتظام

وكثافة الضباب تخف تدريجياً ، لترك

السماء واضحة بعض الشيء .

وفي منتصف الليل أقبلت ممرضة شابة

تحمل صينيته فناجين قهوة ينبعث منها

البخار ، وأمسكت دومي بالفنجان

بيديها لتحاول أن تدفئها ، حينما انفتح

الباب ثانية ، وظهرت الممرضة الأولى ،

وأشارت لدومي وعندها قفزت كارا

بدورها ،

قالت لها الممرضة بأسف أنه غير
مسموح لغير السيدة ستيفانوس برؤيته
في الوقت الحالي .

وتماسكت كارا ووجهها ينطق بالألم ،
وأخذت من دومني فنجان القهوة ،
وقالت بصوت مختلج:
(إذهبي إليه ، أنه حقاك) .

وتبعت دومني الممرضة إلى غرفة بول ،
وعندما دخلت لم تلاحظ لأول وهلة

الرجل الذي كان واقفاً في رداية الطبي
الأبيض بجانب النافذة ، وسارت دومي
ببطء حتى السرير الأبيض ، حيث كان
بول راقدا في سكون تام ، وعيناه
مغمضتان ، وقد ترك الألم علاماته
الواضحة على صفحة وجهه ، وبرقة
متناهية لمست دومي وجنته ، وأحست
بالعظام الشامخة فيها ، ولم يشعر
بلمستها ، لأنه كان فاقد

الوعي .

ولم تسمع الطبيب وهو يعبر الغرفة في

اتجاهها ، ولكنها أحست بوجوده ،

واستدارت لتلقي بعيني الدكتور ميتروس

سويزا الطيبتين وهمست :

(يبدو من الخطأ الجسيم يا دكتور أن

يكون بول .. هكذا ، مغلوباً على أمره ،

ألا يمكن أن نفع شيئاً ؟ هل سنقف

مكتوف في الأيدي ، ونتركه يموت ؟

وتفحصها الدكتور سويزا لحظة طويلة ،
ثم أمسك بيدها وقادها خارج الغرفة
، التي دخلتها الممرضة في الحال ، وأخذها
غرفة الأستشارات ، وأغلق الباب
خلفهما بإحكام ،
وطلب منها أن تجلس ، وأطاعت ،
ونظرت إليه من فوق المكتب ، وسألت
بألم :

(ما هذا الذي يقتل زوجي ؟)

(قطعة صغيرة من المعدن ، شظية قنبلة

يدوية انفجرت في وجهه عندما كان

يحارب في حركة التمرد).

(ولكن ذلك حدث منذ زمن بعيد ،

كيف استطاع أن يعيش طوال تلك

السنوات ؟)

(هناك حالات أكثر غرابة يا عزيزتي ،

وهذا الجسم المعدني لم يكن يسبب له

أي قلق على الإطلاق ، ولكن عقب

حادثة معينه منذ سنتين بدأت المتاعب ،
هل تعرفين أن بول كان له أخ ؟
(لوكاس مات غرقاً منذ عامين تقريباً ،
وكان بول هو الذي غاص في البحر
ليحاول انقاذه) .

(بالضبط ، ولكنه بعدها خرج إلى
السطح ، تعرض لحالة إغماء ورأينا أنه
من الحكمة أن يبقى في المستشفى لمراقبة
حالته ، وفي هذه الأيام أجرينا له

إختبارات ، واكتشفنا أنه أثناء خروجه
من السطح في حالة نقص الهواء ،
تحركت الشظية المعدنية تحت الضغط
، واستقرت في مكان أكثر خطورة في
المخ .. ومنذ ذلك الحين يا دومني بدأ
زوجك يعيش في خطر .)

،
ووضعت دومني يدها فوق حلقها المتألم
وقالت :

(وهل أخبرته بذلك ؟)

وبابتسامة يختلط الحزن فيها بالإعجاب

، قال ميتروس :

(بول ستيفانوس ليس بالرجل الذي

يمكن أن تخفي عنه الحقيقة أنه مقاتل

فدائي شجاع منذ السادسة عشر من

عمره ،

تحول إلى رجل رائع بمرور السنوات ،

رجل شجاع ، جريء ، يحمل كثيراً من

الأحترام لحقائق الحياة ، ولا يمكن
تضليله هاجمته موجات الصداع دفعة
واحدة ، موجات حادة كانت تستعصي
أحياناً على الأدوية ، ولكن ليس
دائماً .)

وجلست دومي ساكنة للغاية ، كانت
تستعيد المرات التي عاش بول خلالها
وحيداً داخل قوقعته آلامه ، وأحست

نحوه بحنان بالغ ، وأحست بغصه في
حلقها وهي تسأل فيما يشبه الصراخ :
(ألا يمكن فعل شيء ؟ بكل تأكيد
يمكن انتزاع هذه الشظية المعدنية
بالجراحه ، وبول يملك النقود ، أنه
يستطيع أن يدفع نفقات أشهر جراح).
ومال ميتروس نحوها ، وقال وقد عقد
يديه :

(أوافقك تماماً ، توجد جراحة يمكن أن
تنقذه ، وبدونها سيموت حتماً كما لا
بد أن يأتي الصباح ولكن إذا نزع جراح
خلال الساعات القليلة القادمة الشيء
الذي يقتله ، فإنه أما يموت ، أو أن
يعيش حياة أشد ظلمة من الموت).

،

وحدقت دومي في ميتروس ، وقد هوى
قلبه ن وهمست :

(تقصد ، يفقد بصره)؟

(بالتأكيد ، ولكننا لا نعرف ما إذا كان

ذلك سيكون كلياً أو

جزئياً) .

ونفض ميتروس من مكانه ، واتكأ على

المكتب بجانب مقعد دومني . . وقال :

(توصلت إلى بول أن يوافق على إجراء

الجراحه ، ولكنه انتفض ذعرا من فكرة

أن يصبح أعمى ، وعبئاً على الناس

الذين كان يرعاهم ويحميهم دائماً ، وفي
مقدمتهم كارا الصغيرة ، والآن أنت يا
عزيزتي .)

وهمست دومني تخاطب نفسها :

(أوه .. لماذا لم يخبرني)!

(لأنه رجل يكره الشفقه .. ولكن

بالنسبة إليه ، الموت أهون من العمى

. ألم تلاحظي كيف يحب اليونانيون أن

يخرجوا من بيوتهم منذ الصباح المبكر

حتى الظلام تحت الشمس

الوهاجه ؟ ألم تلاحظي كيف يضيئون

بيوتهم بأنوار ساطعه ليعدوا ظلام الليل

عنها؟ وبول كيوناني أختار أن يموت لا

أن يعيش في الظلام).

وتشبت دومني بطرف المكتب وهي

تقول :

(ولكن يجب ألا يموت ! ماذا سنفعل

بدونه ، كارا وأنا ، وكل الناس هنا في

الجزيرة ، الذين يحتاجون إليه كثيراً) .

وابتسم ميتروس قائلاً في هدوء :

(هل تحققت مما قلته الآن يا عزيزتي ؟)

وأومأت براسها ، وقد امتلأت عيناها

بالدموع ، وهمست بحرقة :

(يجب أن تجري له هذه العملية ، أنا ،

أنا ، أستطيع أن أوقع على ذلك ، ألا

أستطيع يا دكتور سويزا؟ أليس ذلك

حق الزوجه ؟

ودار ميتروس حول المكتب ، ورفع

سماعة التليفون ، وقال وعيناه تنظران في

عينها :

(بالطبع هذا حق الزوجه ، ولكن هل

عندك الشجاعة لمواجهة بول ، وهو حي

هائج بعد أسبوع من الآن ؟

وقفت ، ورفعت رأسها عالياً ، والتمعت
عيناها الزرقاوان ببريق شديد ، وقالت
بمعنويات مرتفعه :

(يستطيع أن يقتلني إذا شاء ، أين

الأوراق التي سأوقعها يادكتور ؟)

قال وهو يدير رقماً :

(أولاً سأتصل بأثينا ، كانت الإبتهالات

صادقه ، وانقشعت عنا غمامه الضباب

، دعينا الآن نبتهل أن نجد الجراح الذي

نحتاج إليه بلا ارتباطات ليأخذ أول
طائرة قادمة إلينا).

وأغمضت دومي عينيها ، ودعت الله ،
بينما كان ميتروس سويتكلم في الهاتف
باليونانية .

كانت أرض حديقة المستشفى مبللة
بندى الصباح ، وكانت العصافير تفرد
على أغصانها ، وأشعة الشمس تشرق
فوق

قمم الأشجار بلونها الذهبي فبعد ضباب
اليوم السابق ، أحست دومني وهي
تنظر من نافذة غرفة المستشفى التي
تقاسمتها مع كارا ، أن اليوم سيكون يوماً
رائعاً .

وكانت كارا لا تزال نائمة ، وقد عاد
نيكوس بأمه إلى البيت منذ بضعة
ساعات ، كما ذهب باري أيضاً ، بعدما
ضغط على يد دومني في يده ، مثلما

فعل فيما مضى ، في ذلك اليوم الذي
افترقا فيه على الشاطئ ، الأنكليزي
، ولكن هذه المره ، كان كل منهما يعرف
أنه فراق إلى الأبد .

،
ووضعت دومي معطفها فوق كتفها ،
ومشت بجذر نحو الباب ، لأنها لم تكن
تريد إزعاج كارا في نومها ، وفتحت

الباب على مهل وخطت نحو الخارج ،
على ممر بارد ،

حيث كانت الحركة قد دبّت ، بغدو
الممرضات وراوحن .

ونظرت كثيرا إليها لكنهن كن
مشغولات فلم يقلن شيئاً واتخذتني
طريقها إلى الدور الذي يقع فيه غرفة
بول ، وعندما وصلت أمام الباب
ترددت ، ثم فتحت وأطلت على

الداخل ، كان سرير بول خالياً ،
والأغطية ملقاه على جانب ، تاركه
مكانه خاوياً تماماً ، لم تشعر دومني أبداً
مثل هذه البرودة تسري في كيانها
، أحساس رهيب بالبرودة استبد بها وهي
تنظر إلى الفراش الخالي .
مكان رأس بول كانت لا تزال علامته
فوق الوسادة ، وساعة معصمه كانت
على المنضده المجاوره للسريير ، وأحست

بالدنيا تدور من حولها ، وسمعت صوتاً
يقول لها تماسكي ،

ثم شعرت بيدين حازمتين تمسكان بها
، وتجلساها فوق مقعد ، وجلست وهي
ترتعش ، بينما كان الدكتور سويزا يصب
ماء مثلجاً في كوب ، ويقربه من شفيتها ،
ويقول :

(أيتها الطفلة الحمقاء ، تعرضين نفسك
لمثل هذا الذعر ؟ كان يجب أن تنتظري

حتى آتي وأخبرك بأن بول أخذ إلى غرفة
العمليات ، فقد وصل الجراح منذ نصف
ساعة .

،

وكان الماء بارداً فوق شفيتها ، وجاء

الخبر دافئ الأثر وسألت :

(كم ستستغرق الجراحة ؟)

(بضعة ساعات على ما أعتقد ، اسمعي

يا صغيرتي ، لماذا لا تعودين إلى البيت

؟ أن أجواء المستشفى ستضغط أكثر
وأكثر على أعصابك خلال الساعات
المقبلة .

(أفضل أن أبقى ، أعد بأن أكون عاقله
، سأشرب أنا وكارا القهوة ، وبعد ذلك
سنجلس في الحديقة) .

(بصفتي طبيبك كان يجب أن أمرك
بالعودة إلى البيت ، ولكنك بدون شك
ستكونين أشد اضطراباً وأنت تنتظرين

الأخبار ، أجلس في الحديقة ، فالشمس
أشرقت ، واجو دافئ ، ولن يصيبك
أنت والأخت الصغيرة أذى هناك .
وجلست ، ونظرت إليه بعينين واسعتين
في وجهها الشاحب ، وقالت :
(هل الجراح ماهر يا ميتروس ؟)
(واحد من أفضل الجراحين ، صلب
مثل بول نفسه ، وأمثال هؤلاء الرجال

يصلون دائماً إلى أهدافهم . ألا يفعلون
ذلك ؟)

وعضت على شفيتها وهي تقول :
(لست متأكدة هذه المره ، أن بول
بالتأكيد سيكرهني عندما ينتهي الامر
، ولكن كيف كان لي أن أتركه يموت ؟ .
وأسرعت دومي عائدة إلى الغرفة التي
تركت فيها كارا نائمة ، حتى تخبرها بأن
وبول أصبح بين يدي الجراح ، وأن

الأمل معقود على أن يمنح بول نظره إلى
جانب حياته .

ومر الوقت بطيئاً ، ثم فجأة لمحت دومني
أحدى الممرضات مقبلة في إتجاه حيث
تجلس فيه مع كارا ، ونهضتا ، لمقابلتها ،
فأخبرتهما أن السيد ستيفانوس خرج من
غرفة العمليات ، وبأنهما تستطيعان
المجيء لإلقاء نظرة عليه .

وأضافت الممرضة ، التي كانت تتكلم

اليونانية مع كارا التي قامت بمهمة

الترجمة أن الجراح يرجو بعد ذلك أن

يتكلم مع مدام ستيفانوس .

وخفق قلب دومي ذعراً ، والتفت بعيني

كارا في توصل . وسألت كارا الممرضة

بيونانية سريعة ، ثم قالت :

(الممرضة تقول أنها مجرد شكليات) .

ولكن أصابعهما أرتعشت وهما في

طريقهما إلى الداخل .

..... نهاية الفصل 12.....

13-والاخير

الحب ينتصر على الكبرياء

بدأ بول ، شأن المرضى دائماً عقب

عملية طويلة ومرهقة كأنه لن يصحوا

أبداً ، وكان رأسه ملفوفاً بالضمادات

البيضاء .

وانقطع جبل الصمت في غرفة النقااه
عندما تركت كارا أخيراً العنان لدموعها
، وقالت وهي تشهق بعبراتها :
(أن .. ذلك لأنني سعيدة للغاية
..سعيدة جداً ، لأن بول سيكون على
ما يرام).

وكان الجراح رجلاً طويلاً القامة ، أسود
الحاجبين ، ثقیل الكتفين وقال لدومني
بطريقته الصريحة الصارمة أن عليها أن

تفهم أنه لا يمكن التأكد في هذه المرحلة
ما إذا كان فقد بصر زوجها سيكون
كلياً أو جزئياً فخلال انتزاع الشظية ،
تعرضت الأعضاء البصرية للتلف
باختصار ، يجب على السيدة ستيفانس
أن تعد نفسها للأسوء ، وأن تمنى
الأفضل ، وفي أحسن الأحوال ، فإن
بول يحظى بنور عينه اليسرى !

وأصرت العمة صوفيولا على أن تقضي
دومني الأسبوع التالي في بيتها ، لأنه
أقرب إلى المستشفى ، كذلك ليس من
مصلحة دومني أن تبقى وحيدة مع
القلق في ذلك البيت الكبير الخالي .

،

ووافقت دومني على الإقتراح ، لكن
كان عليها أن تذهب إلى البيت لتحضر
بعض

الملابس ، لأنها أيضاً أرادت أن تطمئن
يانيس ولينا إلى أن بول سيكون بخير .
ووجدت البيت ساكناً للغاية ، ولكن في
الخارج كان الرجال في حركة دائبة على
الشاطئ بعضهم كان يرفع الأحجار من
سرداب الكهف الذي لم يعد صالحاً
للإستعمال ، والبعض كان مشغولاً
بتركيب سلك كهربائي جديد لتشغيل
مصعد يصل بين الشاطئ وأعلى القمة

، كانت تلك فكرة بول ، وكانت قد
وضعت موضع التنفيذ منذ عدة أيام
، وفكرت دومني أنها ستكون الآن مفيدة
للغاية ، لأن بول لن يتمكن من إستعمال
الممرات المتأكله لمدة أسابيع ، ربما حتى
نهاية عمره ، إذا لم تتحقق المعجزة التي
كانت تدعو لها .

وكتبت رسالة لعمها قبل أن تنتقل إلى
بيت العمه صوفيولا وجلست أمام

مكتب بول في غرفته الخاصة ،
واستعملت القلم المزخرف الذي كان
ملكاً لجدّه .

كان لديها الكثير لتخبر به العم مارتن ،
ولكنها لم تكن تريد أن تقلقه كثيراً ،
لذلك لم تذكر له شيئاً عن الطفل الذي
فقدته ، واستغرقت الرسالة صفحات
عدة ، وأراحها أنها أخرجت على الورق

بعض ما كانت تعانيه من مشاعر القلق
بشأن حالة بول .

،

وبدت لها فردان بعيدة .. كبيت في حلم
.. حيث تجولت ولعبت ولم تكبر
أبدأ. مثل أليس في بلد العجائب التي
أعجبت بقصتها وهي صغيرة .

وجلست في هدوء على مكتب بول ، ثم
أمسكت بيدها ثقالة الورق النحاسية

المصنوعة على شكل ذلك الحيوان
الخرافي ذي القرنين . الهدية التي أعطتها
لبول ذلك اليوم من شهر العسل في
مدينة يوم .. غريب .. وتذكرت كيف
تمزقت ارباً سعادة ليلة حبها السابقة
قبل أن تتوارى الشمس وراء الأفق .
وأخذت بإصابعها تتابع خطوط الثقالة
الخارجية . رمز أكثر الأشياء مراوغة ،
كان ذلك ما قاله بول ، رمز السعادة

، نسيج الأحلام .. ونهضت تخرج من
الغرفة وقد حملت معها الثقالة مثل
غنيمة .

وكانت لينا قد حزمت حقيبة لدومني ،
وحملتها إلى الباب . وكان الباب مفتوحاً
، وقد وقفت على السلام تؤكد بنفسها
أن زوجها سيشفى من مرضة وسيعود
قوياً من جديد ، وكانوا جميعاً يحملون

هدايا من الفاكه والأزهار لتأخذها

دومني

معها .

وحيثما امتلأت ذراعها دومني بالأزهار ،

لم تستطع أن تتكلم ، لأن طوق التأثير

أحكم أغلافة حول حنجرتها ، وتجمعت

الدموع في عينيها ، وتساقطت فوق

الورود الجميلة ذات الرائحة الزكية ،

حينما دفنت وجهها ، ثم ركضت نحو
السيارة .

وكانت الأيام القليلة التالية أخف وطأة
على دومني لأن كارا رافقتها ، ونيكوس
عندما يعود إلى البيت من العمل ، لقد
بدا جاداً ، وناضجاً منذ وجد نفسه
مسؤولاً تماماً

عن المكتب ، وتنهدت العمة صوفيولا
قائلة وهي تطرز :

(أصبح أبني رجلاً .. يخيل إلي أنني منذ
يوم أو أكثر ، كنت ما ازال أحمله طفلاً
بين ذراعي .. آه .. ولكن سامحيني يا
دومني ..

ماكان يجب أن أحدثك عن الأطفال
الآن ، وأن كنت لا أشك في أنك
سترزقين بأخرين مع تحسن حالة بول بعد
العملية ، أنه لن يلبث طويلاً يا صغيرتي
حتى يعود إلى بيته .

وظلت دومني تتشاغل بالمجلة التي كانت
تتصفحها ، ذلك أن أحاديثها مع بول
بجانب سريره ، لم تكن تتضمن أية إشارة
للمستقبل ، وكانت كارا تذهب دائماً
معها خلال زيارتها له ، وكلما كانت
تلمح برغبتها في تركهما على أفراد
لحديث خاص ، كانت دومني تصاب
بطلع ، وكانت دائماً تفرح عندما ترى

ابتسامة بول وهو يأمر أخته أن تبقى
حيث هي .

كانت كارا ، وهي تبدو أشبه بجنية في
الثوب الأخضر أفضل ثيابها ، تعود إلى
الإنكماش ثانية بجانبه على السرير ،
وهي تنقل بينه وبين دومي نظرات حائرة
.

وقد لاحظت دومي هذه النظرات ،
وأن تظاهرت بغير ذلك ، كانت بمرور

الأيام تحاول أن تبدو عادية التصرفات
قدر الإمكان ،

وكانت الأربطة حول رأس بول تقل يوماً
عن يوم ، وعن قريب كانت الضمادات
سترفع عن عينيه ، وعن قريب كانت
ستعرف إذا ما كان سيرى قليلاً ، أم لن
يرى على الإطلاق .

وكانت دومي قد ارتدت ثيابها استعداد
للذهاب إلى المستشفى عصر يوم الجمعة

، عندما اكتشفت عدم وجود كارا في أي
مكان في البيت ، ولم تستطع العمة
صوفيولا أن تعرف مكانها ، لكنها في
اضافت أن دومني ليست مضطرة إلى
انتظارها ، لأنها تضيع دقائق ثمينة من
ساعة الزيارة المحددة .

وقالت دومي وقد تقلصت أصابعها
فوق الحقيبة التي تحمل فيها الفاكهة
لبول :

(ألا تأتين معي يا عمتي صوفيولا) ؟

وربتت العمه على ذراعها وقالت :

(يا طفلي العزيزة ، هذه فرصة ذهبية

لك لتفردني ببول ، ما كان يجب أن

تأخذي كارا معك كل مرة ، أنا على ثقة

بأنها تحتكر كل الحديث ، يالها من فتاة

ثرثارة ! إنها أحياناً توجع رأسي العجوز (

،.

(ولكن بول يستمتع بالصحبة ، من

فضلك تعالي) .

وحيئذ نظرت إليها العمة صوفيولا

بدهاء وقالت لها بصراحة :

(هل أنت خائفة من الأفراد بيول ؟

هل تخشين أن يلومك ، إذا اكتشف بعد

رفع الضمادات أنه أعمى) ؟

وأجابت دومني برنة ألم :

(عمتي صوفيولا . . . إنك قاسية

القلب) .

قالت العجوز بجفاء :

(إن هذا يجري في دماء الأسرة .)

وظلت واقفة أمام الباب حتى ركبت

دومني السيارة القديمة ولوحت لها

والسائق ينطلق بها ، وعرف بول في

الحال أنها جاءت بمفردها ، وكانت تتكلم

بعصية طوال الوقت وهي تخرج الثمار
العنب والخوخ من الحقيبة ، وترتبها في
طبق على المنضدة الماصقة لسريرة ،
وكانت أوراق الورد التي أحضرتها في
اليوم السابق تناثرت علة الأرض
، فأنحت تلتقطها ، وتجمعها في يدها
مختلصة نظرة نحوه ، لترى أنه كان غير
مرتاح في جلسته والوسائد خلف ظهره

، وبدأ عابساً تحت أنفه الشامخ
المتعجرف .

وقالت دومي :

(أعرف أنك تحب أن ترى كارا ، ولكن
...)

وهنا قطعت كلامها ، ولكن بعد فوات
أوان التنبه إلى ألفاظها وتلعثمت ثم
أستطردت تقول :

(هل . . . هل تحب أن تأكل خوخاً ؟

سأقشر لك واحدة) .

وبعدوء قال :

(دومني ، يوجد شيء أريده) .

ووقفت في لهفة بجانب سريره متسائلة :

(ما هو يا بول ؟ أخبرني من فضلك) .

وأدار رأسه وبدأ كما لو كان ينظر إليها

مباشرة من خلال الضمادات وقال :

(ارید أن تشتري تذكرة طائرة ، وأن

تعودي إلى انكلترا) .

وحدقت فيه غير مصدقة ، وهدفت :

(ماذا ؟)

ووضع يديه وراء رأسه وقال :

(لقد سمعتني) .

،

ولم ترفع بصرها عنه ، كانت الشمس
تلقى أشعتها من خلال النافذة على
سريره ،

في خطوط أشبه بجلد النمر ، وشعاع
ذهبي منها أستقر على عنقه الأسمر

، حيث كانت سترة البيجامه مفتوحة . .
. ولحت دومي حنجرتة وهو ييلع

وانفجرت قائلة :

(إذا كنت تعتقد أنني سأشتري هذه
التذكرة ، فأنت مخطئ للغاية ، سأبقى
هنا) .

قال بجفاء :

(سيخرجونك من هنا بعد خمسين دقيقة
) .

ومالت فوقه ، واستندت بيدها على
السريير ، وقالت :

(كان من الضروري أن أوقع الأوراق)

(تقصدين . . . إنهم أرغموك ؟)

(كلا . . . فعلتها بنفسني من أجلك يا

حبيبي) .

(ما ذا دعوتني ؟)

ومن جديد أحست كأنه يتأملها من

خلال الضمادات ، وبدأ فمه متردداً ،

مسترخياً بعد توتر اللحظة التي مرت .

وأندفعت دومي كالعاصفة تقول :
(دعوتك من قبل الطاغية اليوناني ،
والآن تقول لي أن أذهب إلى انكلترا ؟
هل تعتقد أنني أذهب وأنت في هذه
الحالة ؟

من حقي معرفة ما إذا كانت عينك
اليسرى سليمة كما هو حقلك !
(منذ متى ؟)

(منذ أن دخلت حياتي ، وجعلتني

زوجتك)

ووبحث بيده . . . فوضعت يدها فيها ،

وأغلق أصابعه بإحكام على أصابعها ،

وسأل :

(هل أنت آسفة عليّ ؟)

(آسفة عليك ؟ أنني آسفة على نفسي ،

لأن عليّ أن أحتملك لمدة الخمسين

عاماً المقبلة ، أيها الطاغية ، يالها من

حياة ! !

(أنا لا أسألك أن تبقي) .

(أنت لم تسألني أن أحبك ، أخبرتني أن

أحتفظ بالحب ، سوف أحتفظ به

لنفسي إذا كان لا يزال ما تريد يا بول

ولكنك لفترة سوف تحتاج إلي . . . وأنا

في خدمتك !

ثم أطلقت شهقة عالية عندما عادت
أصابعه تسحق أصابعها من جديد
، ورفع يدها إلى فمه وقال :
(يا لأنوثك وأنت تهددين وتبكين في
الوقت نفسه) .
(أنا . . . أنا لا...
(لست أنثى ؟)
(لا . . . لا أبكي . . .)

وسقطت فوق السرير ، ودفنت وجهها
في كتفه ، وتركت العنان أخيراً لدموعها
المختزنة ، واسند رأسه على صدرها ،
وداعبت شعره بأصابعها وهي تقول :
(الدكتور سوبزا متفائل جداً . . . كلنا
متفائلون . . . وأنت ؟)
(هل أستحق أن أكون ؟ لقد انتزعتك
من كل ما كان عزيزاً عليك ، وخذعتك

تلك الليلة الأولى ، وحطمت قلبك
بفقد الطفل ، وعانقته وقالت بنعومة :
(لا تتكلم بعبارات كهذه يا بول فأني
أحبك ، جعلتني أحبك منذ فترة طويلة
، ولكن الكبرياء كان دائماً رذيلتي ، ولم
أستطع أن أعترف بهذا الحب لنفسي
فيكف كنت

أستطيع أن أعترف به لك ؟ أوه يا بول
عندما أخبروني أنك تموت ، أردت أن

أموت معك ، وحينما قال الدكتور
سويزا أن هناك فرصة ولو فرصة عمياء
. . . . كان لا بد لي أن أدعك تناولها يا
حبيبي .)

وتحسست رقبتة ، وكتفيه وشعرت
بعضامها تتفتت عندما احتواها بين
ذراعيه بطريقته القديمه ، وانطلق يهمس
بصوت متهدج :

(ضقت ذرعاً بهذا المستشفى ، يجب أن
ينزعوا هذه الأربطة سريعاً ،
أريد يا دومني أن أعود معك إلى البيت
.)

وضمها أكثر وقال هامساً :

(الشمس والقمر والنجوم مظلمة الآن
يا دومني ، ماذا لو ظلت هكذا بالنسبة
إلي ؟)

(إن شخصين يستطيعان الرؤية عبر
الجبال والمحيطات يا بول ، إذا كانا معاً ،
وكل منهما بحاجة إلى الآخر) .

،
(تبدو الآن يا حبيبي أنعم ملمساً ،
كنت تبدو قبيحاً بعد العملية) .

(هل أرهبتك ؟)

(ومضى أبداً وقت لم ترهبني فيه !)

وعادا إلى البيت بعد أيام قليلة ، حيث
وقف بول في الشرفة ، وقد لف ذراعاً
حول خصر دومني ، ورأى من جديد
زرقة البحر الأيوني العميقة منعكسة في
عينيها اللتين رفعتهما نحو وجهه في حب
، ولم يكن ملحوظاً أن بول فقد بصر
عينه اليمنى كلية ، ولكن الرؤية في العين
اليسرى كانت تشتد يوماً بعد يوم .

وشردت أفكار دومي ، العينان اللتان

تشبهان عيني النمر . . .

وازدادت التصاقاً ببول . . . أحست

أنها تحبه كثيراً . . . العزيز المسيطر ،

الذي سيرت منه أبنائه الشجاعة والجرأة

.

وقال بول :

(سنعيش حياة طيبة معاً يا دومي ،
الآن سيكون حالنا كذلك اليوم الذي
كنا فيه معاً

في كورنويل ، هل تذكرين الثقالة
النحاسية .) ؟

وأومات في سعادة وقالت :

(كانت في حقيبة يدي كل يوم ذهبت

فيه لزيارتك في المستشفى ، هذا الحيوان

الخرافي جلب لنا الحظ ، والسعادة يا بول

(

أضاف وهو يضمها أكثر ، وبلا نهاية :

(وأنت جلبت لي الحب) .

ولم يتركها حتى أقبل يانيس ليخبرهما أن

الشاي في إنتظارهما .

لتحميل مزيد من الروايات الحصرية

زوروا مكتبة رواية

www.ridaya.ga

النهاية